إمهال الله سبحانه وتعالى لهم إهمالاً وحسبوا أنّ حلل النّعيم الّتي يرفلون فيها بسبب نبوغهم وعبقرّياتهم وجهلوا أنّ ذلك مكرٌ من الله تعالى بهم ، وفرح القوم بما أوتوا فرح أشرٍ وبطر ، وبدّلوا نعمة الله كفراً ، فأخذهم الله سبحانه وتعالى فجأة أخذ عزيز مقتدر فإذا القوم حيارى مبلسون ، آيسون من كلّ خير ، مترقبون كلّ شرّ : ﴿ وكذلك أخذ ربّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة . إنّ أخذه أليمٌ شديد ﴾[1] .

والآية الكريمة الأخيرة تقرّر أنّ آخر القوم الظّالمين قد قطع ، وأنّ أصلهم قد استؤصل . والحمد لله ربّ العالمين على نصر المرسلين وقطع دابر القوم الظّالمين ، والثّناء الكامل والشّكر التّامّ لله جلّ وعلا ربّ هذا الوجود ، ناصر رسله والّذين آمنوا في هذه الحياة الدّنيا ويوم الخلود ، الواحد الأحد الفرد الصّمد المعبود .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾

نصرّف الآيات : نبيّنها ونوضّحها ونفسّرها دالّةً على أنّه لا إله إلاّ الله[2] .

يصدفون : يعرضون . يقال منه : صدف فلانٌ عنّي بوجهه فهو يصدف صدوفاً وصَدْفاً أي عدل وأعرض[3] .

في الآية الكريمة إنذارٌ لكفّار مكّة ومن شاكلهم بقصد أن يعودوا إلى بارئهم جلّ وعلا ويتوبوا إليه تعالى توبةً نصوحاً . إنّ الآية الكريمة تأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بأن يقول لكفّار مكّة أخبروني أيّها الكافرون إن أخذ الله سبحانه وتعالى سمعكم فأصابكم بالصّمم وسلبكم نعمة البصر فأصبحتم عمياً ، وطبع على قلوبكم فغدت لاتفقه شيئاً ولا تعقل وأعمى بصائركم الّتي في صدوركم هل ثمّة مِن إلهٍ غير الله تعالى يأتيكم بما أخذ منكم وسلبكم ؟ والجواب بطبيعة الحال معروف ، لا أحد يستطيع أن يأتي بما أخذ الله تعالى إلاّ

---

(١) سورة هود ١٠٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٣٣/٢ .

(٣) تفسير الطّبريّ ١٢٥/٧ .

الله سبحانه وتعالى الخالق البارىء المصور .

واستمراراً لتسليته صلّى الله عليه وسلّم يخاطب عليه الصّلاة والسّلام بالقول : ﴿ انظر ﴾ والمعنى انظر يا محمّد وتفكّر ، تمعّن وتدبّر كيف نصرّف لهم الآيات ونقلّب الحجج ونتابع الأدلّة على وحدانيّة الله تعالى ثمّ هم ــ ويا للعجب ــ يعرضون عن كلّ ذلك ويتنكّبون الطّريق المستقيم ويصدّون عن السّبيل .

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾

على غرار آيةٍ كريمةٍ سابقةٍ تبدأ الآية الكريمة بالقول : ﴿ قل أرأيتكم ﴾ والمعنى : قل يا محمّد لأولئك المشركين مع الله تعالى سواه أخبروني إن أتاكم عذاب الله سبحانه وتعالى على حين غفلةٍ منكم فبغتكم وفجأكم وأنتم لاتشعرون به أو أتاكم عذاب الله تعالى جهرةً وعياناً ليلاً أو نهاراً وأنتم تنظرون إليه هل يُهْلَك إلاّ القوم الظّالمون ؟ والمعنى ما يهلك إلاّ القوم المشركون مع الله تعالى سواه وقد قال عزّ من قائل في هذه السّورة الكريمة[1] : ﴿ الّذين آمنوا ولم يَلْبسوا إيمانهم بظُلْمٍ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ وقال عزّ من قائل في سورة لقمان[2] : ﴿ إنّ الشّرك لظلمٌ عظيم ﴾ .

وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾

يغلب على آيات هذا القسم الإنذار . وهذه الآية الكريمة تجمع بين التّبشير والإنذار ويغلب عليها التّبشير . والآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه ما يبعث المرسلين إلاّ مبشّرين من آمن وأطاع واتّقى بالجنّة الّتي عرضها السّماوات والأرض . ومنذرين من كفر وعصى وفجر بالنّار الّتي تقول يوم القيامة : ﴿ هل من مزيد ﴾[3] .

(١) الآية ٨٢ .

(٢) الآية ١٣ .

(٣) سورة ق ٣٠ .

والآية الكريمة تقرّر أنّ من آمن بالله تعالى الواحد الأحد وآمن برسوله خاتم الأنبياء والمرسلين وبما أوحى الله تعالى إلى هذا الرّسول الكريم ، وأصلح عمله الموافق للشّرع الحكيم وأراد بذلك العمل الصّالح وجه ربّه الأعلى ، إنّ من آمن بقلبه وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم فيما يستقبلون بعد هذه الحياة الدّنيا ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم في هذه الحياة الدّنيا من أهل وأحباب ، مال وجاه وأصحاب ، لأنّ الآخرة في حقّهم خيرٌ من الأولى ولأنّ الله وليّهم فيما تركوا وراءهم .

والآية الكريمة التّالية تتحدّث عن الفريق الآخر المقابل .

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

إذا كان من نصيب من آمن وعمل صالحاً النّعيم المقيم في الجنّة ، فإنّ من نصيب من كفر وكذّب بآيات الله تعالى وبرسوله الكريم النّار الّتي يصلاها ويمسّه عذابها . إنّ الكافر جمع بين الكفر بالقلب وبين الفسق في العمل بمعنى الخروج عن الصّراط المستقيم .

مزيد إرشاد للنبي صلى الله عليه وسلم

وإنذار للكافرين وتبشير للمؤمنين

الآيات: ٥٠ — ٥٨

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

تجيء جملة﴿ قُلْ ﴾مرّتين اثنتين في الآية الكريمة ، والخطاب كما هو معروفٌ موجّهٌ إلى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم هنا وفي كلّ المواضع الكثيرة الأخرى . والآية الكريمة تأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لكفّار مكّة ومن شاكلهم بأنّه عليه الصّلاة والسّلام لايقول لهم إنّ عنده خزائن الله تعالى الّتي يرزق منها والّتي لاتنفد ، ولا يقول لهم إنّه عليه الصّلاة والسّلام يعلم الغيب ، إنّه عليه الصّلاة والسّلام لايعلم من الغيب إلاّ شيئاً علّمه الله سبحانه وتعالى إيّاه ، ولا يقول لهم إنّه ملكٌ من الملائكة ذوات الأجساد النّورانيّة بل إنّه بشر يخضع لحاجات البشر وضروراتهم بما في ذلك أكل الطّعام . ووراء ذلك هو عليه الصّلاة والسّلام لايّتبع إلاّ ما أوحى الله سبحانه وتعالى إليه ، وفي مقدّمة ما أوحى الله تعالى إليه هذا الكتاب العزيز الّذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد .

وبما أنّ الكافرين المكذّبين بمثابة العمي الّذين لا يبصرون بسبب العمى المتمكّن من بصائرهم ، بينما المؤمنون المتّقون بمثابة المبصرين سليمي البصر وصحيحيه ، لأنّ بصيرتهم نيّرة ولأنّ قلوبهم الّتي في صدرهم مبصرة ، لذا فقد كان في القول :﴿ قل هل يستوى الأعمى والبصير ﴾استفهامٌ يشتمّ منه رائحة الإنكار أن يسوّى بين الأعمى والبصير ، وإنّ صيغة بصير وليس صيغة مبصر في مقابل الأعمى تعتبر دليلاً على اتّجاه الحديث للمقارنة بين ذي البصيرة النّيّرة وأعمى البصيرة .

وبما أنّ كفّار مكّة ومن شاكلهم حبيبٌ إليهم الكفّار والكفر والضّلال بل يفضّلون الكفر على الإيمان والكفّار على المؤمنين ، بمعنى أنّهم يفضّلون عمى البصيرة عن نور البصيرة فقد كان في ختام الآية الكريمة في القول :﴿ أفلا تتفكرون ﴾استفهامٌ إنكاريّ ينعي على كفّار مكّة الانحطاط إلى هذا الدّرك الّذي انتهوا معه إلى تفضيل الضّلالة على الهدى ، عمى البصيرة على نورها ، الكفر على الإيمان ، وكلّ ذلك بسبب تعطيلهم نعمة الفكر وعدم استعمالها الاستعمال الصّحيح . والآية الكريمة واحدةٌ من العديد من الآيات

الكريمات الّتي تثني على الفكر الصّحيح وتشيد بالعقل الفاحص الواعي فعلى كلّ إنسانٍ أن يقدر هذه النّعمة حقّ قدرها باستعمالها الاستعمال الصّحيح في الميدان الّذي خلقت من أجله وإلاّ تبدّدت قوى هذه النّعمة وذهبت طاقتها هدراً .

وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

تأمر الآية الكريمة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن ينذر بهذا الكتاب العزيز الّذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم من المؤمنين . ويصحّ أن ننظر إلى هؤلاء المؤمنين من زاوية أعمالهم الصّالحة الّتي يقومون بها وهم مع ذلك يخافون ألاّ يتقبّلها الله سبحانه وتعالى منهم . وبناءً على هذا الرّأي تأخذ الآية الكريمة بسبب من قوله تعالى في سورة المؤمنون[1] : ﴿ والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنّهم إلى ربّهم راجعون ﴾ إنّ هذا الفريق من المؤمنين يخاف مقام ربّه ويسأل الله سبحانه وتعالى من أعماقه أن يتغمّده برحمته وفضله .

ويصحّ كذلك أن ننظر إلى هؤلاء المؤمنين من زاوية كونهم عصاة .إنّهم يخافون كذلك أن يحشروا إلى ربّهم لأنّ السّيّئات الّتي ارتكبوها تؤرّق أعينهم وتُقِضُّ مضجعهم .

وبمقدار حظّ القوم من التّقوى يصحّ أن نفهم القول :﴿ لعلّهم يتّقون ﴾إنّ التّقوى في مراحلها الأولى يتعلّق بها اتّقاء كلّ ما من شأنه أن يلحق الأذى بالإنسان ويظلّ المرء يرقى في مدارج التّقوى حتّى تكون الوجه الآخر للإحسان بل حتّى تكون الإحسان ذاته بأن تعبد الله تعالى كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

سبب النّزول :

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلّى الله

---

(١) الآية ٦٠ .

عليه وسلّم وعنده خباب وصهيب وبلال وعمّار فقالوا يا محمّد أرضيت بهؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن : ﴿ وأنذر به الّذين يخافون أنّ يحشروا إلى ربّهم ﴾ إلى قوله : ﴿ أليس الله بأعلم بالشّاكرين ﴾[1] .

كان حماس المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في دعوته إلى الله تعالى شديداً ، حتّى إنّه نهاه الله سبحانه وتعالى عن أن يهلك نفسه حزناً لإعراض قومه عن الدّعوة إلى صراط العزيز الحميد . وإنّ فرط حماسه صلّى الله عليه وسلّم لدعوته كان يصحّ أن ينتهي به صلّى الله عليه وسلّم ــ لولا لطف الله تعالى به وتسديده خطواته عليه الصّلاة والسّلام ــ إلى تجاوز الفاضل إلى المفضول أو تجاوز الأفضل إلى الفاضل . وإنّ الآية الكريمة الّتي نحن بصددها تأخذ بسببٍ من هذه الملابسات . وفي الآية الكريمة نهيٌ له عليه الصّلاة والسّلام عن أن يطرد المؤمنين الّذين يدعون ربّهم جلّ وعلا بالغداة والعشيّ ، وعن أن يُقْصِي عنه المّتقين الّذين يصلّون له جلّ وعلا صباحاً ومساءً والّذين يذكرونه تعالى قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، يريدون من كلّ تلك الأعمال الصّالحة وجهه جلّ وعلا وليس أيّ شيءٍ من حطام الدّنيا . وقد عرفنا سبب نزول الآية الكريمة .

وتبيّن الآية الكريمة للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم بأنّه ليس عليه أيّ شيءٍ من لومٍ أو تثريب من حساب الله تعالى لهم وبأنّهم ليس عليهم أيّ شيءٍ من لوم أو تثريب من حساب الله تعالى لك . إنّ لسان الحال يقول : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[2] .

وإن القول : ﴿ فتطردهم ﴾ جوابٌ لقوله : ﴿ وما عليك من حسابهم من شيءٍ وما من حسابك عليهم من شيء ﴾ .

وإنّ القول : ﴿ فتكون من الظّالمين ﴾ جواب لقوله : ﴿ ولا تطرد الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ﴾[3] .

ونستطيع أن نفهم أنّ الآية الكريمة ذات علاقة بمثل قوله تعالى[4] : ﴿ واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدّنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمره فُرُطا ﴾ .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٤/٢ وانظر تفسير الطّبريّ ١٢٧/٧ .
(٢) سورة فاطر ١٨ .
(٣) انظر تفسير الطّبريّ ١٣١/٧ .
(٤) سورة الكهف ٢٨ .

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾

وكذلك فتنّا : ابتلينا واختبرنا وامتحنّا[1] .

ابتلى الله سبحانه وتعالى الكافرين جزاء كفرهم وأشرهم وبطرهم وكبرهم بسبب ثرائهم وجاههم وسلطانهم ، ابتلاهم جلّ وعلا بسبق المؤمنين الفقراء الضّعفاء إلى الإيمان واعتناق دين الإسلام وصحبة خير الأنام . وكان من أولئك الكافرين الّذين أحسّوا في أعماقهم بالصّغار والهوان ردّ فعلٍ عكسي تجلّى في استهانتهم بفقراء المؤمنين واستهزائهم بالضّعفاء والزّعم بأنّ دين الإسلام لو كان حقّاً لما منّ الله سبحانه وتعالى على أولئك الفقراء والضّعفاء بالسّبق إلى الإيمان ، ولكان السّابقون إلى اتّباع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم هم الأشراف والأغنياء . وأن القرآن الكريم ليُكْذِب الكافرين وكذلك تكذبهم سنّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . فها هي ذي الآية الكريمة يجيء فيها القول : ﴿ أليس الله بأعلم بالشّاكرين ﴾ ؟ والجواب : بلى الله سبحانه وتعالى أعلم بالشّاكرين الّذين قدروا نعمة الإسلام حقّ قدرها فبادروا إلى اتّباع محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم وقد زادهم الله تعالى هدىً إلى هداهم بعد أن هداهم جلّ وعلا سبله جزاء جهادهم في سبيله جلّ وعلا ابتغاء الوصول إلى الحقّ . في الحديث الصّحيح : إنّ الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[2] وثمة وجهٌ من شبه بين الآية الكريمة وقوله تعالى في سورة الأحقاف[3] : ﴿ وقال الّذين كفروا للّذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ، وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفكٌ قديم ﴾ .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٣٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٣٥ .

(٣) الآية ١١ .

وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

كتب ربكم على نفسه الرّحمة : قضى ربّكم على نفسه الرّحمة[1] وأوجبها على نفسه الكريمة تفضُّلاً منه وإحساناً وامتنانا[2] .

فضل الله سبحانه وتعالى على المؤمنين تجاوز أمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يستبقيهم بحضرته وهداية المؤمنين إلى الصّراط المستقيم وتثبيتهم على المحجّة البيضاء ، تجاوز كلّ ذلك إلى إسباغ الرّحمة على المؤمنين وإقالة عثرة من زّلت به النّعل منهم بإرشادهم إلى باب التّوبة المفتوح على مصراعيه ووعدهم بقبول توبتهم النّصوح ، بل وتبديل سيّئاتهم حسنات . وليس وراء هذا الفضل زيادةٌ لمستزيد .

إنّ الآية الكريمة تقول للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم : إذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا وما أوحينا إليك من آي الذّكر الحكيم والّذين اتّبعوك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ، ويلاحظ استعمال جملة « جاء » الّتي تدلّ على القرب دائماً والّتي تدلّ هنا على الوصول الفعليّ إلى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم دليل الحرص على المجيء مهما بعدت الشّقّة وصعب الطّريق ، إذا جاءك أيّها الرّسول الكريم الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم وأمنٌ وطمأنينةٌ عليكم ردّاً لإلقائهم السّلام عليك أو ابتداءً منك بالسّلام عليهم وأخبرهم ما يزيدهم أمناً واطمئناناً في مجال دينهم وبشّرهم بما يملأ نفوسهم بهجةً وقلوبهم رضاً بأنّ الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرّحمة . ويلاحظ استعمال لفظ الرّب المتّصل به ضمير جماعة المخاطبين ﴿ كتب ربكم ﴾ والمعروف أنّ لفظ الرّبّ يستعمل في القرآن الكريم في موطن الخصوص ، وحينما يكون الموقف معطّراً بشذ الرّضا والامتنان ، وحينما تقتضي المناسبة التّنبيه إلى فضل الله العظيم بتربيته جلّ وعلا خلقه بالنّعم والآلاء ، وحينما يراد التّنبيه إلى وجوب القيام بالشّكر لله تعالى على نعمه وآلائه بعبادته جلّ وعلا وحده لاشريك

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٣٣/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٣٥/٢ .

له وطاعته تعالى وطاعة رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم .

وإنّ رحمة الله تعالى الّتي كتبها على نفسه الكريمة تفضّلاً والّتي وسعت كلّ شيء شملت عباده المؤمنين ، وفي مقدّمة هؤلاء السّابقون إلى الإيمان وهم في مجموعهم من الفقراء والضّعفاء . وتتجلّى رحمة الله تعالى الّتي وسعت المؤمنين في إخبارهم أنّ من عمل منهم سوءاً بجهالة وارتكب ذنباً معترفاً بسفهه وخطئه ثمّ تاب من بعد ذلك الذّنب توبةً نصوحاً وعمل صالحاً من الأعمال دليلاً على صدق توبته وأوبته إلى الله تعالى فاعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى غفور رحيم ، يغفر الذّنب ويقبل التّوب ويرحم عباده وفيهم المذنبون التّائبون الآيبون .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لمّا قضى الله على الخلق كتب في كتابٍ فهو عنده فوق العرش : إنّ رحمتي غلبت غضبي . أخرجاه في الصّحيحين[1] .

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾

في مثل تلك الطّرائق من التّفصيل والتّوضيح والتّبيين نفصل الآيات الّتي يُعْرف بها الصّراط المستقيم ويهتدى بها إلى معالمه فيتمسّك بها ولتستبين سبيل المجرمين الكافرين المكذّبين المعاندين فتجتنب تلك الطّريق وتُهْجَر .

قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

تأمر الآية الكريمة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول للمشركين الصّادّين عن سبيل الله تعالى العاملين على فتنة المسلمين عن دينهم إنّي نهاني ربّي جلّ وعلا أن أعبد الّذين تعبدون من دون الله تعالى من الأصنام والأوثان الّتي لاتملك ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولانشورا وأمرني ربّي أن أفرده جلّ وعلا بالعبادة ، كما تأمره صلّى الله عليه وسلّم الآية الكريمة أن يقول للمشركين لا أتّبع أهواءكم في عبادة تلك الأوثان والأصنام الّتي ما أنزل الله

---

(١) تفسير ابن كثير ١٣٦/٢ .

تعالى بها من سلطان والّتي لايقرّ العقل الحصيف والبصيرة النيّرة عبادتها . إنّي لو فعلت شيئاً من ذلك ــ لاسمح الله ــ قد ضللت إذاً عن الصّراط المستقيم وما أنا من المهتدين المسلمين المؤمنين المتّقين الموحّدين .

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾

قل إنّي على بيّنةٍ من ربّي : على بيانٍ قد تبيّنته وبرهانٍ قد وضح لي من ربّي[1] .

تبدأ الآية الكريمة كسابقتها بجملة : ﴿ قل ﴾ وهي تأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول للمشركين إنّي على بيّنةٍ من ربّي جلّ وعلا ، ولا زلنا بصدد لفظ الرّبّ الدّالّ على الخصوص وعلى لطف الله سبحانه وتعالى بعبده المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . إنّ البيّنة من الله تعالى على توحيده جلّ وعلا قد جاءته صلّى الله عليه وسلّم عن طريق الوحي الّذي أوحاه الله تعالى إليه والحقّ الذي جاء به ، وإن أولئك المشركين قد كذّبوا بذلك الحقّ ، بل إنّهم ــ كما تقرّر الآية الكريمة ــ تجاوزوا التّكذيب إلى استعجال العذاب دليلاً على أنّ القرآن الكريم كلام ربّ العالمين وأنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم رسول الله تعالى إلى النّاس أجمعين ! وقد عرفنا الحكمة من عدم تلبية اقتراحات القوم وتحقيق رغباتهم إكراماً للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم الّذي قال ، وقد خيّره ملك أن يأمر في قومه بما شاء بما في ذلك أن يطبق عليهم الأخشبين وهما جبلا مكّة ، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً . وقد ثبت هذا الحديث في الصّحيحين عن عائشة[2] إنّ القول في الآية الكريمة الذّي أُمِرَ عليه الصّلاة والسّلام أن يقوله لقومه : ﴿ ما عندي ما تستعجلون به ﴾ يقرّر أنّ العذاب الّذي يستعجله كفّار مكّة ليس عنده عليه الصّلاة والسّلام وليس في مقدوره ، وإنّ لسان حاله عليه الصّلاة والسّلام

---

(١) تفسير الطّبريّ ٧/١٣٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٣٧ .

يقول : إنّ الّذي يستعجلون به من العذاب هو عند الله تعالى إن شاء أضلّ وعذّب وإن شاء هدى وغفر .

وممّا أمرت الآية الكريمة أن يقوله عليه الصّلاة والسّلام للمشركين إنّ الحُكْم ليس إلاّ لله تعالى وحده لاشريك له وإنّه جلّ وعلا هو الّذي يقصّ القصص الحقّ فيما يوحيه جلّ وعلا إليّ من قرآن وهو تعالى خير الفاصلين يوم يقوم الأشهاد فيقضي بين المؤمنين والكافرين ، ويدخل فريقاً في الجنّة وفريقاً في السّعير ، لا معقّب لحكمه جلّ وعلا ولا رادّ لقضائه سبحانه .

قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

إنّ الآية الكريمة الّتي تبدأ كسابقتها بجملة :﴿ قل ﴾تأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لكفّار مكّة المكرّرين لطلب العذاب المستهينين باستعجاله الّذين يفهمون الإمهال إهمالاً : لو أنّ عندي ما تستعجلون به من العذاب لقُضِي الأمر بيني وبينكم على الفور بأن أنزلته عليكم إن شئت وألحقته بكم ، ولكنّ العذاب عند الله سبحانه وتعالى الأعلم بالظّالمين الفعّال لما يريد الّذي إن شاء عجّل لكم العذاب وإن شاء أخّره وإن شاء تاب عليكم ، والّذي لايُسْأل عمّا يفعل سبحانه وتعالى وهُمْ يُسْألون .

مِنْ مَظاهِرِ
عِلْمِهِ جَلَّ وَعَلا وَقُدْرَتِه

الآيات: ٥٩ — ٦٧

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

وعنده مفاتح الغيب لايعملمها إلاّ هو : المفاتح جمع مِفْتَح يقال فيه مِفْتَح ومفتاح . فمن قال مفتح جمعه مفاتح . ومن قالّ مفتاح جمعه مفاتيح ويعني بقوله : وعنده مفاتح الغيب : خزائن الغيب[1] أو الطّرق الموصلة إلى علمه[2] .

الآية الكريمة متعلّقة بعلم الله تعالى المحيط بكلّ شيء فتقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى عنده وحده لاشريك له مفاتح الغيب وخزائنه والطّرائق الموصلة إلى العلم والإحاطة به ، ولا يعلم هذه المفاتح سواه جلّ وعلا . روى البخاريّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : مفاتح الغيب خمسٌ لايعلمهّن إلاّ الله : إنّ الله عنده علم السّاعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأيّ أرضٍ تموت . إنّ الله عليمٌ خبير . وفي حديث عمر أنّ جبريل حين تبدّى له في صورة أعرابيّ فسأل عن الإيمان والإسلام والإحسان فقال له النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيما قاله له : خمسٌ لايعلمهنّ إلاّ الله . ثمّ قرأ : إنّ الله عنده علم السّاعة . الآية[3] .

إنّ الآية الكريمة الأخيرة من سورة لقمان تنصّ على مفاتح الغيب الخمسة الّتي لايعلمها إلاّ الله تعالى وهي على النّحو التّالي :

١ ــ علم السّاعة والمراد العلم بيوم القيامة متى يكون .

٢ ــ نزول الغيث بمعنى نزول المطر . وقد جاء في الآية الكريمة القول : ﴿ وينزّل الغيث ﴾ وهذه الجملة تشمل كلّ المراحل الّتي تنتهي بنزول الماء من السّماء ، ابتداءً بتبخّر الماء فنشوء السّحب وتصريف الرّياح للسّحب وإرسال الرّياح لواقح للسّحب وإنتهاءً بنزول الماء في الأماكن الّتي أراد الله سبحانه وتعالى له أن ينزل فيها . فلا معنى لقصر معنى جملة ﴿ وينزّل

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٣٦/٧ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير ابن كثير ١٣٧/٢ .

الغيث ﴾ على العِلم بنزول المطر الّذي يتحدّث فيه علماء الأرصاد الجوّيّة وقد يتحقّق توقّعهم إذا شاء الله تعالى للأمور أن تسير على سَنَنِها الّذي أوجدها عليه والّذي شاء جلّ وعلا أن يتعلمه علماء الأرصاد الجوّية ، وقد لايتحقّق توقعهم إذا جرت الرّياح بإرادة الله تعالى بما لا تشتهيه سفن علماء الأرصاد الجوّيّة . ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾[1] وقبل عمليّة تبخّر الماء الّتي تتمّ بعلم الله تعالى وإرادته تأتي عمليّة إيجاد الله تعالى الماء من العدم .

٣ ــ علم الله سبحانه وتعالى ما في الأرحام وقد جاء في الآية الكريمة القول : ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ كما جاء في سورة الرّعد قوله تعالى[2] : ﴿ الله يعلم ما تحمل كلّ أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكلّ شيءٍ عنده بمقدار . عالمُ الغيب والشّهادة الكبيرُ المتعال ﴾ ونحن إذا نظرنا إلى القول: ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ من زاوية آية سورة الرّعد وليس من زاوية الشّمول الّذي تشمله الجزئيّة الكريمة من سورة لقمان لكلّ ما في الأرحام تبيّنّا أنّ الجزئيّة الكريمة تقرّر علم الله سبحانه وتعالى بكلّ مخلوقٍ في رحم كلّ أنثى من النّاس والحيوان وكلّ المخلُوقات ، هل المخلوق ذكرٌ أم أنثى أم خنثى . وبطبيعة الحال يشمل علم الله تعالى نوع المخلوق في الرّحم منذ أن يتمّ التّلاقح بين الحيوان المنويّ لدى الذّكر والبويضة لدى الأنثى .

وحينما يتبجّح بعضهم بأنّ العلم الحديث يستطيع بوسائله ومبتكراته أن يعرف نوع الجنين في رحم والدته حينما يتكوّن الجنين وتتّضح أعضاؤه الّتي يتبيّن منها نوعه نقول : ونحن مع تسامحنا في السّير مع هؤلاء البسطاء حينما يحصرون العلم بما في الأرحام في أنثى الإنسان وما في حكمها نسأل هؤلاء : هل يستطيع علمكم أن يسير إلى الوراء فيعيّن نوع الجنين قبل أن يتشكّل في رحم أمّه ابتداءً بلحظة الحمل الأولى ؟ نريد من القوم أن يجيبوا عن هذا السّؤال الّذي نعرف جوابه نحن ويعرفونه هم بيقين .

٤ ــ علم الله سبحانه وتعالى ما تكسب كلّ نفسٍ من خيرٍ أو شرّ مستقبلا .

٥ ــ علم الله سبحانه وتعالى المكان الّذي تموت به كلُّ نفس ويلحق بذلك الزّمان .

وبعد أن قرّرت الآية الكريمة انفراد الذّات العليّة بالعلم بمفاتح الغيب قرّرت أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما في البرّ والبحر . وقد تقدّم البرّ في الذّكر على البحر لأنّ علم النّاس

---

(١) سورة الكهف ٤٥ .

(٢) الآية ٨ ، ٩ .

وعلاقتهم بالبرّ أكثر من البحر وما يعلم جنود الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته في البرّ والبحر إلاّ هو جلّ وعلا .

وتقرّر الآية الكريمة إحاطة الله سبحانه وتعالى علماً بأيّ ورقةٍ تسقط من أوراق الشّجر وكلّ حبّةٍ في ظلمات الأرض ومن باب أولى في غير ظلمات الأرض وكلّ رطبٍ من الثّمار وغير الثّمار وكلّ يابسٍ . إنّ كلّ ذلك في كتابٍ مبين ، هو اللّوح المحفوظ .

وحينما يكون ثمّة علمٌ من الذّات الإلهيّة بحركة هذه الجمادات الّتي لايعلم عددها إلاّ الله تعالى يكون في ذلك إيماءٌ إلى علم الله سبحانه وتعالى بحركة ما يكبر هذه الأشياء من حيوانٍ وإنسان . فعلى الإنسان أن يعلم أنّ الله سبحانه وتعالى يراه وعلى الإنسان أن يعمل وفق هذا العلم بتوجيهٍ من القرآن الكريم وسنّة خاتم النّبيّين محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

وهو الّذي يتوفّاكم باللّيل : الله هو الّذي يتوفّى أرواحكم باللّيل فيقبضها من أجسادكم[١] وهذا هو التّوفّي الأصغر[٢] ومعنى التوفّي في كلام العرب استيفاء العدد[٣] يقال : توفّيت الشّيءَ واستوفيته ، إذا أخذته كلّه حتّى لم تترك منه شيئاً . ومنه يقال للميّت : توفّاه الله[٤] .

ويعلم ما جرحتم بالنّهار : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنّهار[٥] .

ثمّ يبعثكم فيه : ثمّ يثيركم ويوقظكم من منامكم فيه يعني في النّهار[٦] .

ليُقضى أجلٌ مسمّى : أجل كلّ واحدٍ من النّاس[٧] فيبلغ مدّته ونهايته[٨]

ثمّ إليه مرجعكم : أي يوم القيامة[٩] .

تبيّن الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي يتوفّانا باللّيل ويميتنا بالنّوم الموتة

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٣٦/٧ .
(٢) تفسير ابن كثير ١٣٨/٢ .
(٣) تفسير الطّبريّ ١٣٧/٧ .
(٤) معجم مقاييس اللّغة : «وفي» ١٢٩/٦ .
(٥) تفسير ابن كثير ١٣٨/٢ .
(٦) تفسير الطّبريّ ١٣٨/٧ .
(٧) تفسير ابن كثير ١٣٨/٢ .
(٨) تفسير الطّبريّ ١٣٨/٧ .
(٩) تفسير ابن كثير ١٣٨/٢ .

الصّغرى وقد جاء في سورة الزُّمر[1] : ﴿ الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويُرْسل الأخرى إلى أجلٍ مسمًّى . إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرون ﴾ وروى ابن عبّاس عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : مع كلّ إنسانٍ ملكٌ إذا نام أخذ نفسه ويردّه إليه فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلاّ ردّ إليه[2] .

كما تقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما كسبنا في النّهار من خيرٍ أو شرّ كي يجازينا، وأنّه سبحانه وتعالى يبعثنا من موتنا الأصغر ويوقظنا من نومنا في النّهار ويظلّ الأمر هكذا إلى أن يُقْضى الأجل المحدّد لحياة الإنسان وإلى أن يأتي الموت ثمّ إليه جلّ وعلا مرجعنا بالبعث والنّشور ثمّ ينبّئنا عزّ وجلّ بما عملنا من خيرٍ أو شرّ فيحاسبنا فيجازينا أن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ .

والآية الكريمة ذات علاقةٍ من نوع مّا بالآية الكريمة من سورة الرّعد[3] قال تعالى : ﴿ سواءٌ منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخفٍ باللّيل وساربٌ بالنّهار ﴾ .

ومن البيّن أنّ الآية الكريمة تجعل اللّيل وقتاً للنّوم والرّاحة وتجعل النّهار وقتاً للعمل والكدح ، وهي بذلك تراعى الأصل والغالب ، ومن المعروف أنّ نسبة النّوم نهاراً بالقياس إلى اللّيل قليلة ، ونسبة العمل ليلاً بالقياس إلى النّهار قليلة أيضاً .

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

وهو القاهر : والله الغالب خلقه العالي عليهم بقدرته[4] .

ويرسل عليكم حفظة : هي ملائكته الّذين يتعاقبونكم ليلاً ونهاراً يحفظون أعمالكم ويحصونها[5] .

وهم لايفرّطون : لايفرّطون في حفظ ذلك وإحصائه ولايضيّعون[6]

(١) الآية ٤٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ١٣٨/٢ .
(٣) الآية ١٠ .
(٤) تفسير الطّبريّ ١٣٩/٧ .
(٥) تفسير الطّبريّ ١٤٠/٧ .
(٦) تفسير الطّبريّ ١٤٠/٧ .

ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ : يعني الخلائق كلّهم إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله[١] .

وهو أسرع الحاسبين : وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيّها النّاس وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها[٢] .

الآيتان الكريمتان تتعلّقان بقدرة الله تعالى وبعلمه جلّ وعلا .

وأولى الآيتين الكريمتين تبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده المستعلي عليهم بقدرته ، كما أنّه جلّ وعلا يرسل علينا حفظةً من الملائكة . وهؤلاء الحفظة يحفظوننا بأمر الله تعالى ويحصون علينا أعمالنا الصّالحة والسّيّئة . وإلى عمليّة حفظ الملائكة لنا أشار قوله تعالى في سورة الرّعد[٣] : ﴿ له معقّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ والمعنى أنّ للإنسان ملائكة تتعقّبه من قدّامه ومن ورائه يحفظونه بأمر الله[٤] وإلى عمليّة حفظ الملائكة أعمالنا وإحصائها أشار قوله تعالى في سورة ق[٥] : « إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيد . ما يَلْفِظُ من قولٍ إلاّ لديه رقيبٌ عتيدٍ ﴾ .

وبشأن آية سورة الرّعد يقول ابن كثير[٦] : « أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرسٌ باللّيل وحرسٌ بالنّهار ويحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما يتعاقب ملائكةٌ آخرون لحفظ الأعمال من خيرٍ أو شرّ ملائكةٌ باللّيل وملائكةٌ بالنّهار ، فاثنان على اليمين والشّمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السّيّئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من قدّامه فهو بين أربعة أملاك بالنّهار وأربعة آخرين باللّيل بدلاً ، حافظان وكاتبان كما جاء في الصّحيح : يتعاقبون فيكم ملائكة باللّيل وملائكة بالنّهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الّذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلّون وتركناهم وهم يصلّون » وعن ابن عبّاس : يحفظونه من أمر الله ، قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه[٧] .

وإنّ الجزئيّة الكريمة التّالية تشير إلى تخلّي الحفظة عن الإنسان حينما يحين أجله :

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٣٨ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٧/١٤٠ .
(٣) الآية ١١ .
(٤) الجلالين .
(٥) الآية ١٧ ، ١٨ .
(٦) تفسير ابن كثير ٢/٥٠٣ .
(٧) تفسير ابن كثير ٢/٥٠٣ .

﴿ حتّى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لايفرّطون ﴾ والمعنى أنّ أسباب الموت إذا حضرت الإنسان ودنت وفاته توفّته الملائكة الموكلة بذلك وهم لايفرّطون فيما أسند إليهم من عملٍ باستلال الرّوح ومن حفظٍ لروح المتوفّى وإنزالها حيث شاء الله عزّ وجلّ . قال ابن عبّاس وغير واحد : لملك الموت أعوانٌ من الملائكة يخرجون الرّوح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم[1] .

وهم لايفرّطون : أي في حفظ روح المتوفّى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عزّ وجلّ . إن كان من الأبرار ففي علّيّين . وإن كان من الفجّار ففي سجّين عياذاً بالله من ذلك[2] .

والآية الكريمة الثّانية تبيّن أنّ الخلائق بعد أن يتوفّاهم الله سبحانه وتعالى يردّون إليه جلّ وعلا وهو مولاهم الحقّ ومالكهم العدل ليحاسبهم ويجازيهم .

وفي الجزئيّة الكريمة الأخيرة تقرّر الآية الكريمة أنّ لله سبحانه وتعالى الحكم وله دون سواه القضاء النّافذ فيهم وهو جلّ وعلا أسرع الحاسبين : « يحاسب الخلق كلّهم في قدر نصف نهارٍ من أيّام الدّنيا لحديثٍ بذلك »[3] .

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾

في الآية الكريمة الأولى سؤالٌ يُطرَح على الكافرين .

وفي الآية الكريمة الثّانية جوابٌ على ذلك السّؤال ولا جواب سواه .

تضرّعاً وخفية : جهراً وسرّاً[4] .

كرب : غمّ[5] .

في الآية الكريمة الأولى يؤمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بأن يقول للمشركين المكذّبين المعاندين من ينجّيكم من ظلمات البرّ حينما تضلّون في متاهاته ليلاً ؟ ومن ظلمات البحر حينما تتقاذفكم أمواجه ليلاً ، وتطوّح بكم أعاصيره وعواصفه وقواصفه ،

---

(١) تفسير ابن كثير ١٣٨/٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ١٣٨/٢ .
(٣) الجلالين .
(٤) تفسير ابن كثير ١٣٩/٢ .
(٥) الجلالين .

وحينما تفردونه جلّ وعلا وحده بالدّعاء جهراً وسرّاً مقسمين لئن أنجانا الله من هذه المحنة لنكوننّ من الشاكرين له جلّ وعلا بإفراده تعالى بالعبادة معرضين عمّن سواه ؟ ولا تنسوا أيّها المشركون أنّكم في هذه المحنة وفي كلّ محنةٍ مماثلة تنسون ما تدعون من دون الله تعالى .

وفي الآية الكريمة الثّانية يؤمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بأن يقول للمشركين بأنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي ينجّيكم من هذه البليّة ومن كلّ غمٍّ ثمّ أنتم بعد كلّ هذه المحن والنّعم من الله تعالى تشركون مع الله تعالى سواه . ومن الآيات الكريمات الّتي تعبرّ عن فحوى الآيتين الكريمتين قوله تعالى في سورة الإسراء[1] : ﴿ وإذا مسّكم الضّرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه فلمّا نجّاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ وقوله تعالى في سورة العنكبوت[2] : ﴿ فإذا ركبوا في الفُلْك دَعَوُا الله مخلصين له الدّين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يُشْرِكون . ليكفروا بما آتيناهم وليتمتّعوا فسوف يعلمون ﴾ .

قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم : كالرّجم[3] والصّيحة[4] وكالرّيح القاصف بحراً .

أو من تحت أرجلكم : كالخسف[5] .

أو يلبسكم : يخلِطكُمْ من الالتباس[6] ومن قولك : لبست عليه الأمر إذا خلطت فأنا ألبسه[7] .

شيعا : فِرَقاً ، واحدتها شيعة[8] .

انظر : يا محمّد بعين قلبك[9] .

كيف نصرّف الآيات : نبيّنها ونوضّحها مرّةً ونفسّرها[10] .

---

(١) الآية ٦٧ .
(٢) الآية ٦٥ ، ٦٦ .
(٣) تفسير الطّبريّ ١٤١/٧ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير الطّبريّ ١٤١/٧ .
(٦) صحيح البخاري ٧١/٦ .
(٧) تفسير الطّبريّ ١٤٢/٧ .
(٨) تفسير الطّبريّ ١٤٢/٧ .
(٩) تفسير الطّبريّ ١٤٧/٧ .
(١٠) تفسير ابن كثير ١٤٣/٢ .

لعلّهم يفقهون : يفهمون ويتدبّرون عن الله آياته وحججه وبراهينه[1] .

روى البخاريّ[2] : « عن جابرٍ رضي الله عنه قال : لمّا نزلت هذه الآية : قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أعوذ بوجهك . قال : أو من تحت أرجلكم . قال : أعوذ بوجهك : أو يَلْبِسَكُمْ شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هذا أهون أو هذا أيسر » .

تأمر الآية الكريمة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لكفّار مكّة ومن لفّ لفّهم إنّ الله سبحانه وتعالى هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم كالرّجم والصّيحة والموج أو من تحت أرجلكم كالخسف فيميتكم وعلى أن يَلْبِسكُمْ شِيَعاً ويخلطكم فرقاً ويمزّقكم جماعات ويذيق بعضكم بأس بعض بالعذاب والقتل والظّلم . انظر يا محمّد بعين بصيرتك كيف نصرّف لهم الآيات ونقلّب الحجج ونبيّن الأدلّة لعلّهم يفقهون آياتنا ويتدبرون حججنا ويفهمون أدلّتنا .

قال زيد بن أسلم : لمّا نزلت : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ الآية . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ بالسّيف قالوا : ونحن نشهد ألاّ إله إلاّ الله وأنّك رسول الله قال نعم »[3] .

وهذا معناه أنّ الآية الكريمة وإن كانت أساساً موجّهةً إلى الكافرين فإنّها تعني الأمة المحمّديّة وراء ذلك ، وقد بيّن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ذلك الأمر أوضح تبيين ومن ذلك الحديث النّبويّ الشّريف الّذي تعدّدت صوره وهذه إحداها . روى الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقّاص قال : أقبلنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى مررنا على مسجد بني معاوية[4] فدخل فصلّى ركعتين فصلّينا معه فناجى ربّه عزّ وجلّ طويلاً ثمّ قال : سألت ربّي ثلاثاً . سألته ألا يهلك أمّتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألاّ يهلك أمّتي بالسّنة[5] فأعطانيها . وسألته ألاّ يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها . انفرد بإخراجه مسلم[6] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٤٣ .
(٢) صحيح البخاريّ ٦/٧١ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/١٤٣ .
(٤) حيٌّ من الأنصار .
(٥) السّنة : السّنون والمجاعات .
(٦) تفسير ابن كثير ٢/١٤٠ .

وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

قل لست عليكم بوكيل : أي لست عليكم بحفيظ[1] .

لكلّ نبأ مستقرّ : قال ابن عبّاس وغير واحد : أي لكلّ نبأ حقيقة ، أي لكلّ خبر وقوع ولو بعد حين كما قال : ولتعلمنّ نبأه بعد حين . وقال : لكلّ أجلٍ كتاب[2] .

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ قريشاً قوم المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قد كذّبوا بالقرآن الكريم وهو الحقّ من ربّهم جلّ وعلا وهم أقدر العرب على الوقوف على هذه الحقيقة لو كانوا منصفين في النّظر عادلين في التّأمّل لأنّهم أتيح لهم من الفصاحة ونقاء اللّغة ومن الظّروف الدّينيّة والاقتصاديّة والاجتماعية ما لم يجتمع لسواهم من سكّان الجزيرة العربيّة . ولمّا كانت مهمة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم تقف عند البلاغ ولا تتجاوزه لأنّ البلاغ منتهى ما يستطيع صلّى الله عليه وسلّم أن يعمل فقد أمرت الآية الكريمة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لكفّار مكّة إنّي لست عليكم بوكيلٍ ولا حفيظ فأجازيكم ولا رقيب عليكم فأرغمكم على الدّخول في دين الإسلام الّذي بعثني الله تعالى به .

والآية الكريمة الثّانية تقرّر في شقّها الأول أنّ لكلّ نبأ مستقرّاً ، ولكلّ خبرٍ حقيقةً وفعلاً فإذا جاء وقت ترجمة النبأ إلى فعلٍ تمّ ذلك بإرادة الله تعالى . أمّا الشّقّ الثّاني : ﴿ وسوف تعلمون ﴾فإنّه بمثابة التّهديد لكفّار مكّة بأنّ إنذارهم يوشك أن يستقرّ في هيئة ما سيحلّ بهم من عذاب .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٤٣/٢ وتفسير الطّبريّ ١٤٧/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٤٣/٢ وانظر تفسير الطّبريّ ١٤٧/٧ .

الأمر بالإعراض عن المستهزئين والإنكار على الداعين إلى الكفر والأمر بتقوى الله تعالى

الآيات : ٦٨ — ٧٣

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

وإذا رأيت الّذين يخوضون في آياتنا : بالتّكذيب والاستهزاء[1] .

فأعرض عنهم : فصدّ عنهم بوجهك وقم عنهم ولا تجلس معهم[2] .

حتّى يخوضوا في حديثٍ غيره : حتّى يأخذوا في حديثٍ غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم[3] .

بعد الذّكرى : بعد التّذكّر[4] .

ولكن ذكرى لعلّهم يتّقون : أي ولكن أمرناكم بالإعراض عنهم حينئذٍ تذكيراً لهم عمّا هم فيه لعلّهم يتّقون ذلك ولايعودون إليه[5] .

من الأسلحة الّتي يلجأ إليها الخصوم في كلّ زمانٍ ومكان الاستهزاء والسّخرية . وهذا النّوع من الأسلحة الفتّاكة لجأ إليه كفّار مكّة . وقد كفى الله سبحانه وتعالى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم المستهزئين وقد قال تعالى[6] : ﴿ إنّا كفيناك المستهزئين ﴾ والآيتان الكريمتان ذواتا علاقةٍ بهذا النّوع من السّلاح حينما يستعمل في حقّ القرآن الكريم وبطريق المعالجة لهذا النّوع من الابتلاء .

إنَّ الآية الكريمة الأولى ترشد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، وأمّته عليه الصّلاة والسّلام تبعٌ له في ذلك ، بأنه عليه الصّلاة والسّلام إذا رأى الّذين يخوضون في آيات

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ /١٤٤ .

(٢) تفسير الطّبريّ ١٤٨/٧ .

(٣) تفسير الطّبريّ ١٤٨/٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٤٤/٢ .

(٥) تفسير ابن كثير ١٤٤/٢ .

(٦) سورة الحِجْر ٩٥ وانظر تفسير ابن كثير ٥٥٩/٢ .

الكتاب العزيز بالاستهزاء والسّخرية فليعرض عنهم بوجهه وليصدّ عنهم صدوداً وليفارقهم في مجلسهم حتّى يخوضوا في حديثٍ غيره ويتحدّثوا في شأنٍ آخر غير القرآن الكريم الّذي نزل في أسمى طرق الوحي على خاتم النّبيّين .

فإن أنساك أيّها الإنسان هذا التّوجيه السّماويَّ الشّيطانُ الرّجيم وفوجئت بنفسك بين ظهراني المستهزئين بالقرآن الكريم فقم حالاً وفارقهم على الفور ولا تقعد بحالٍ من الأحوال بعد التّذكر مع القوم الظّالمين . ويلاحظ وصف القوم بأنّهم ظالمون لأنّهم يظلمون غيرهم ويظلمون أنفسهم بخوضهم في آيات الله تعالى واستهزائهم بها ممّا يعود بالضّرر الأكيد عليهم .

وانظر إلى جملة : ﴿ تقعد ﴾ الّتي تستعملها الآية الكريمة والّتي تدّل على اتّجاه القاعد من أعلى إلى أسفل دليلاً على نهيه عن أن ينساق في الحديث وينجذب إلى القعود وينسى نهي الله سبحانه وتعالى عن القعود ذاكراً . والمعروف أنّ الآية الكريمة لاتستعمل جملة : « تجلس » لأنّها تدلّ على اتّجاه الجالس من حالة الاتّكاء أو الاستلقاء أو الاضطجاع ، أي من أسفل إلى أعلى لأنّ هذا النّوع من الاتّجاه في الحركة لايؤديّ الغرض الّذي تؤدّيه جملة قعد .

والآية الكريمة الثّانية تبيّن أنّه ليس على الّذين يتّقون الله تعالى حقّ تقاته فلا يرضون بحالٍ من الأحوال عن تصرّفات المستهزئين ، ليس على الّذين يتّقون من حساب الله سبحانه وتعالى للمستهزئين من شيءٍ وقد قال تعالى[1] : ﴿ ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى ﴾ وإنّما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين المتّقين بالإعراض عن المستهزئين ومفارقة مجلسهم تذكيراً للمستهزئين وموعظةً ، لعلّهم يتّقون الخوض بعد ذلك ولا يعودون إليه ويتوبون إلى الله تعالى توبةً نصوحاً بعد أن يكونوا قد دخلوا في دين الإسلام الّذي رضيه الله تعالى لعباده والّذي بعث به محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) سورة فاطر ١٨ .

وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

وذكّر به أن تُبْسل نفسٌ بما كسبت : أي لئلاّ تُبْسَل . قال الضّحّاك عن ابن عبّاس ومجاهد وعكرمة والحسن والسّدّيّ تُبْسَلَ تُسْلَم . وقال الوالبيّ عن ابن عبّاس : تُفْتَضَح . وقال قتادة : تُحْبَس . وقال مرّةً وابن زيد : تؤاخذ . وقال الكلبّي : تُجْزَى . وكلّ هذه الأقوال والعبارات متقاربة في المعنى وحاصلها الإسلام للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب[1] .

وإن تعدل كلّ عدل : وإن تَفْد كلّ فداء[2] يقال منه عدل يعدل إذا فدى عدلاً[3] .

أولئك الّذين أُبْسِلوا بما كسبوا : أُسْلِموا لعذاب الله فَرُهنوا به جزاءً بما كسبوا في الدّنيا من الآثام والأوزار[4] .

لهم شرابٌ من حميم : الحميم هو الحارّ في كلام العرب[5] والمراد ماء بالغ نهاية الحرارة[6] .

بعد أن بيّنت الآيتان السّابقتان الموقف الّذي يتّخذه صلّى الله عليه وسلّم من

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ /١٤٤ وهذا هو المعنى الّذي قرّره ابن فارس في مقاييس اللّغة «بسل» ٢٤٨/١ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير الطّبريّ ١٥١/٧ .

(٤) تفسير الطّبريّ ١٥٢/٧ .

(٥) تفسير الطّبريّ ١٥٢/٧ .

(٦) الجلالين .

الخائضين في آيات الله تعالى ، وأمّته عليه الصّلاة والسّلام تبعٌ له في ذلك ، بأن يعرضوا عن الخائضين ويفارقوا مجلسهم لعلّهم يكفّون عن السّخرية والاستهزاء تأمر هذه الآية الكريمة الّتي نحن بصددها المصطفى صلّى الله عليه وسلم بأن يترك الّذين اتّخذوا دينهم لعباً ولهواً ويعرض عن الّذين جعلوا من دينهم الّذي أُمِروا به لعباً ولهواً ، سخريةً واستهزاءً وأن يمهل قليلاً الّذين غرّتهم الحياة الدّنيا وفتنتهم مباهجها وصرفتهم عن الآخرة . كما تأمر الآية الكريمة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يذكّر بالقرآن الكريم النّاس لئلاّ تُسْلم نفسٌ من النّفوس للهلكة بسبب ما كسبت من الشّرور والآثام وخسرت من الحسنات وصالح الأعمال ، وليس لتلك النّفس من دون الله سبحانه وتعالى وليٌّ يتولّى أمورها وينصرها ، ولا شفيعٌ يشفع لها ويحمل عنها . وإن تَعْدِل تلك النّفيس كلّ عدل ، وتفد كلّ فداء لايؤخذ منها . ويلاحظ ترتيب الوليّ والشّفيع والفداء في هذا النّسق اللّطيف تبعاً للأهمّيّة والدّوْر الأكبر .

إنّ أولئك هم الّذين أُسْلِموا لعذاب الله تعالى وحُبسوا لعقابه بسبب ما كسبوا في الحياة الدّنيا من سيّىء الأعمال فلهم شراب من حميم ، من ماءٍ شديد الغليان ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكفرون بإشراكهم مع الله تعالى سواه وبتكذيبهم للرّسول الكريم وللقرآن العظيم .

قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾

ونردّ على أعقابنا : ونردّ إلى أدبارنا ,فنرجع القهقرى خلفنا لم نظفر بحاجتنا[1] .

كالّذي استهوته الشّياطين في الأرض : استهوته استفعلته من قول القائل : هوى فلانٌ إلى كذا يهوى إليه ، ومن قول الله تعالى ذكره : فاجعل أفئدة من النّاس تهوى إليهم ، بمعنى

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٥٢/٧ .

تنزع إليهم وتريدهم[1] .

حيران : فعلان من قول القائل : قد حار فلانٌ في الطّريق فهو يحار فيه حيرةً وحيراناً وحيرورة ، وذلك إذا ضلّ فلم يهتد للمحجّة[2] .

إنّ الّذين اتّخذوا دينهم الّذي كُلّفوه لعباً ولهواً الّذين أشارت إليهم الآية الكريمة السّابقة تجاوزا الكفر إلى الصّدّ عن سبيل الله تعالى والدّعوة إلى الكفر . والآية الكريمة الّتي نحن بصددها تتحدّث عن أولئك الكافرين من زاوية دعوتهم المسلمين بأن يهجروا الإسلام إلى الكفر . إنّ الآية الكريمة تأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بأن يقول لأولئك الكافرين في هيئة الاستفهام الإنكاري أتريدون منّا أن نعبد من دون الله تعالى ما لاينفعنا ولا يضرّنا من الأصنام والأوثان وتريدون منّا أنّ نرّد على أعقابنا إلى الكفر بعد أن أنقذنا الله سبحانه وتعالى منه وهدانا إلى دين الإسلام .

أتريدون يا شياطين الإنس أن يكون مثلنا كمثل الّذي استهوته الشّياطين في الأرض وجذبته إليها وأضلّته نحوها فأمسى حيران لايستطيع حيلةً ولا يهتدى سبيلاً بعد أن ضلّ الطّريق وأخطأ السّبيل ولهذا الّذي استهوته الشّياطين وأضلّته أصحابٌ على المحجّة البيضاء والصّراط المستقيم يدعونه إلى الهدى أئتنا وينادونه من أعماق قلوبهم بأن يتّجه نحوهم ويصل إليهم فإنّ في ذلك الاهتداء بعد الضّلال والطّمأنينة بعد الاضطراب والسّكينة بعد الحيرة .

إنّ أولئك الشّياطين هم كفّار مكّة ومن لفّ لفّهم من شياطين الإنس والجنّ . وإنّ الأصحاب الحريصين على إنقاذ كلّ ضالّ هم المؤمنون المتّقون أصحاب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وأتباعه إلى يوم الدّين . وإنّ الآية الكريمة لتأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لأولئك الشّياطين : إنّ هدى الله تعالى الّذي بعثني به هو الهدى فعليكم أن تتركوا الكفر إلى الإيمان ، وأن تهجروا الشّرك إلى التّوحيد ، وأن تتحوّلوا من اتّباع الشّياطين الّذين يقودونكم لكلّ هاوية إلى اتّباع السّراج المنير والنّور المبين والرّحمة المهداة والنّعمة المسداة ، محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم . لقد أُمرنا جميعاً بأن نُسْلِم لله ربّ العالمين بأن نعبده جلّ وعلا وحده لاشريك له ونطيعه . ولا يتحقّق شيءٌ من ذلك إلاّ باتّباع خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٥٢/٧ .

(٢) تفسير الطّبريّ ١٥٣/٧ .

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾

لقد أُمرنا نحن المؤمنين بأن نُسْلِم لله ربّ العالمين كما أُمِرْنا بأن نقيم الصّلاة وأن نتّقي الله سبحانه وتعالى في كلّ أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا فإنّه جلّ وعلا هو الّذي نُحْشر إليه يوم القيامة ونُجْمع بين يديه للحساب فالجزاء ، الثّواب والعقاب .

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

لقد أُمِرْنا نحن المؤمنين بأن نُسْلِم لله ربّ العالمين وبأن نقيم الصّلاة ونتّقي الله جلّ وعلا في السّرّ والعلن . إنّه جلّ وعلا هو الّذي إليه نُحْشر يوم القيامة ، وإنّه جلّ وعلا هو الّذي خلق السماوات والأرض بالحقّ . وكما أُمِرْنا بأن نتّقيه جلّ وعلا في السّرّ والعلن أُمِرْنا كذلك بأن نتّقي يوم القيامة اليوم الّذي يقول الله سبحانه وتعالى له كن فيكون . إنّ قول الله سبحانه وتعالى هو الحقّ دائماً . ولله سبحانه وتعالى الملك يوم يَنْفُخ إسرافيل في الصّور النّفخة الثّانية . إنّه جلّ وعلا عالم الغيب والشّهادة ما لاتبصره العينان وما تبصره العينان . وهو الحكيم في خلقه وصنعه الخبير بباطن الأشياء كظاهرها لا ربّ سواه ولا معبود غيره .

ويصحّ أن يكون التّقدير : وهو الّذي خلق السّماوات والأرض بالحقّ وخلق يوم يقول كن فيكون وهو يوم القيامة . والله أعلم .

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ

واقتدِ يا محمّدُ بالذينَ هداهُمُ اللّه

الآيات: ٧٤ — ٩٠

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾

أصناماً : الأصنام جمع صنم والصّنم التّمثال من حجرٍ أو خشبٍ أو من غير ذلك في صورة إنسانٍ وهو الوثن . وقد يقال للصّورة المصوّرة على صورة الإنسان في الحائط وغيره صنم ووثن[1] .

واذكر يا محمّد إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء الّذي آتاه الله رشده في وقتٍ مبكّر ، إذ قال لأبيه آزر في أسلوب الاستفهام للإنكار والتّوبيخ : أتتّخذ أصناماً آلهة تعبدها أنت وقومك من دون الله تعالى القادر على كلّ شيء . إنّي أراك وقومك في ضلالٍ مبين وانحرافٍ عن الصّراط المستقيم أكيد لأنّكم تعبدون الأصنام الّتي لاتملك ضرّاً ولا نفعاً ، والّتي لاتملك موتاً ولا حياةً ولا نشوراً وتذرون أحسن الخالقين سبحانه وتعالى .

وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

وكذلك : وكما أريناه البصيرة في دينه والحقّ في خلاف ما كانوا عليه من الضّلال[2] .

ملكوت السّماوات والأرض : يعني ملكه . وزيدت فيه التّاء كما زيدت في الجبروت من الجبر وكما قيل رهبوت خيرٌ من رحموت بمعنى رهبةٌ خيرٌ من رحمة . وحكي عن العرب سماعاً : له ملكوت اليمن والعراق بمعنى له ملك ذلك[3] .

هذه الآية الكريمة المعترضة تبيّن أنّ ربّ العزّة كما أرى إبراهيم عليه السّلام الطّريق وهداه الصّراط المستقيم وآتاه رشده من قبل يُرى إبراهيم عليه السّلام مُلْك السّماوات والأرض فيتأمّله بعين البصيرة النّافذة ويتدبّره بنظر المؤمن الّذي يرى بنور الله تعالى كي ينفجر لسان حاله هاتفاً بما جاء في القرآن الكريم من قول الحقّ جلّ وعلا[4] : ﴿ ربّنا ما

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٥٩/٧ .
(٢) تفسير الطّبريّ ١٦٠/٧ .
(٣) تفسير الطّبريّ ١٦٠/٧ .
(٤) سورة آل عمران ١٩١ .

خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار ﴾ وكي يستدلّ بذلك الملك العظيم على وحدانيّة الله سبحانه وتعالى ويكون من الموقنين بتلك الوحدانيّة فلا معبود بحقٍّ سوى الله تعالى ذي الجلال والإكرام .

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾

فلمّا جنّ عليه اللّيل : أي تغشّاه وستره[١] وأظلم[٢] وواراه يقال منه : جنّ عليه اللّيل وجنّه اللّيل وأجنّه وأجنّ عليه[٣] .

رأى كوكباً : أبصر كوكباً حين طلع[٤] وقيل إنّ ذلك النّجم هو الزُّهَرة[٥] .

فلمَّا أفل : غاب[٦] .

كان قوم إبراهيم عليه السّلام نجّامين وقد آتى الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السّلام رشده فأراد أن يوجّه قومه إلى الموقف الصّحيح الّذي ينبغي أن يقفوه ممّا تتزيّن به السّماء من كواكب بأن يستدلّوا بها على الله سبحانه وتعالى الواحد المعبود لا أن ينسبوا إليها من الأفعال ما لا علاقة لها به أو يعبدوها من دون الله تعالى . إنّه عليه السّلام حينما جنّ عليه اللّيل وهبط بظلامه لغياب الشمس وبرزت النّجوم رأى كوكب الزّهرة باعتباره أشدّ الكواكب ضياءً وأشرفهنّ عند القوم بعد الشّمس والقمر فقال إبراهيم عليه السّلام بقصد شدّ انتباه قومه واستمالتهم للإصغاء إلى ما يقصد إليه من قول وحوار حول تلك الكواكب : فقال إبراهيم عليه السّلام مشيراً إلى كوكب الزُّهرة : هذا ربّي حسب زعمكم وادّعائكم . ولكنّ كوكب الزُّهَرَة السيّار أفل وغاب عن الأنظار واختفى من الأفق فكيف يصحّ

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥١/٢ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير الطّبريّ ١٦٢/٧ .

(٤) تفسير الطّبريّ ١٦٢/٧ .

(٥) الجلالين وانظر تفسير ابن كثير ١٥١/٢ والزُّهرة بفتح الهاء على وزن رُطبة نجم وهو أحد الكواكب السّبعة السّيّارة تفسير ابن كثير ١٥١/٢ .

(٦) تفسير الطّبريّ ١٦٢/٧ وتفسير ابن كثير ١٥١/٢ .

أن يكون هذا الكوكب أو سواه ربّاً يُعْبد من دون الله تعالى فقال إبراهيم عليه السّلام : لا أحبّ الآفلين الّذين يحضرون ويغيبون لأنّ الحضور والغياب من سمات المخلوقين فكيف يُعْبَدُ هذا المخلوق ، وكيف يَعْبُدُ الإنسانُ العاقل الجماد !

ومن البيّن أنّ هذا الدّرس البليغ لم ينتفع به قوم إبراهيم عليه السّلام فتحوّل إلى درس آخر أكبر من الزُّهَرة ألا وهو القمر .

فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾

حينما لم ينفع مع القوم الضّالّين درس كوكب الزّهرة البليغ تحوّل إبراهيم عليه السّلام إلى درس أبلغ من السّابق حينما تحوّل من كوكب الزّهرة إلى القمر الّذي يبدو أكبر من الزّهرة حجماً وأبهى منظراً . ومن البيّن أنّ كلاً من الزّهرة والقمر يجمع بينهما اللّيل ، فالزّهرة تبدو ليلاً والقمر يبدو أوضح وأجمل ليلاً . إنّ إبراهيم عليه السّلام حينما رأى القمر طالعاً قال لقومه الضّالّين عن سواء السّبيل هذا ربّي بزعمكم . فلمّا أفل القمر بعد طلوع وغاب بعد ظهور كان موقف إبراهيم عليه السّلام منه هو ذات الموقف من الزّهرة حينما أفلت . وقد تجاوزا إبراهيم عليه السّلام الحديث عن هذا الموقف لأنّه معروفٌ بسبب اشتراك كلٍّ من الزُّهرة والقمر في الأفول وتحوّل إلى الحديث عن نفسه سائلاً ربّه الحقيقيّ موجده من العدم ومربّيه بنعمه أن يهديه سواء السّبيل فإنّه قليل الحيلة شديد العجز بدون العون من ربّ العالمين ، مقرّراً عليه السّلام أنّه إن لم يهده ربّه إلى إفراده جلّ وعلا بالعبادة وتوحيده ليكوننّ من القوم الضّالّين .

إن في القول :﴿ لئن لم يهدني ربّي ﴾تعبيراً من إبراهيم عليه السّلام عن شديد فقره لبارئه جلّ وعلا فبدون أن يهديه ربّه جلّ وعلا لن يهتدى . وبهذا يكون إبراهيم عليه السّلام الفقير لمولاه محور هذه الجزئيّة الكريمة . وإنّ في القول : ﴿ لأكوننّ من القوم الضّالّين ﴾ تعريضاً بقومه بأنّهم ضالّون خارجون عن الصّراط المستقيم . وهذا التعريض من الأساليب النّاجحة النّاجعة في الدّعوة إلى صراط العزيز الحميد . ولم ينتفع القوم من هذا الدّرس الثّاني البليغ فكان الدّرس الثّالث الأكبر والأبلغ والأخير .

فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

حينما قال إبراهيم عليه السّلام عن كوكب الزُّهَرة :﴿ لا أحبّ الآفلين ﴾كان ذلك تعبيراً منه عليه الصّلاة والسّلام عن إعراضه عن سائر الكواكب لأنّ الزّهرة أضوؤها وأشرفها . وتأكّد ذلك الإعراض حينما أفل القمر وحينما سأل ربّه جلّ وعلا أن يهديه سواء السّبيل . وإنّ في سؤال إبراهيم عليه السّلام ربّه جلّ وعلا الهداية تهيئةً لقومه أن يتبرّأ ممّا يشركون به مع الله تعالى من آلهةٍ مزعومة بعد أن يلقي عليهم الدّرس الثّالث الأكبر المرتبط بالشّمس وهي تبدو لكلّ ذي عينين أضوأ وأكبر من الزُّهرة ومن القمر .

والآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ إبراهيم عليه السّلام الّذي آتاه ربّه جلّ وعلا رشده من قبل وهو هنا يناظر قومه ويتدرّج معهم في الأدلّة من الكبير إلى الأكبر فالأكبر من الأدلّة تقرّر أن إبراهيم عليه السّلام لمّا رأى الشّمس طالعةً في الصّباح قال هذا ربّي بزعمكم هذا أكبر . وسبق أن عرفنا أنّ الاستدلال بالكوكب وبالقمر في اللّيل . وإن الاستدلال بالشّمس هنا في النّهار . وبشأن القمر يصحّ أن يكون استدلال إبراهيم عليه السّلام به حينما كان بدراً وبذلك يغطي البدر من الزّمن اللّيل كلّه ويصحّ ألاّ يكون بدراً وبذلك لايغطّي القمر اللّيل مكّة . أمّا طلوع الشّمس وغروبها فيغطّيان النّهار كلّه . وهذا معناه أنّ إبراهيم عليه السّلام بشأن الدّرس الثّالث الكبير هذا يعطي قومه فرصةً طويلةً كي يتدبّروا حال الشّمس بين الطّلوع والغروب بعد تدبّر حال الكوكب والقمر بين الطّلوع والأفول ، وكي يتدبّروا حالهم .

فلمّا أفلت الشّمس فهم قوم إبراهيم عليه السّلام موقف إبراهيم عليه السّلام من الشّمس الآفلة وأنّه مجموع موقفه من الكوكب حينما أفل وقال عليه السّلام :﴿ لا أحبّ الآفلين ﴾ ومن القمر حينما أفل وقال عليه السّلام :﴿ لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضّالّين ﴾ وكأنّ قوم إبراهيم عليهّ السلام ينتظرون موقفاً ثالثاً لإبراهيم عليه السّلام يتمشّى مع سؤاله ربّه جلّ وعلا الهداية في المرّة الثّانية ويترتّب عليه . وكان موقف إبراهيم عليه السّلام من الشّمس الآفلة الّتي ثبت لكلّ بصيرةٍ نيّرة أنّها مخلوقة ومسخّرة ، موافقاً للمتوقّع منه

عليه السّلام وكان تعبيره بمثابة البركان الّذي أَنْذَرَ من ذي قبل وحان أوان انفجاره وها هو ذا إبراهيم عليه السّلام يعلنها عاليةً مدوّيةً بأنّه بريءٌ مما يشرك أبوه وقومه الضّالّون المضلّون . إنّ الكوكب والقمر والشّمس ليس واحدٌ منها يخرج عن كونه مخلوقاً لله تعالى ومسخّراً لأمره فكيف تتّخذ تلك الكواكب آلهة بل كيف تُتّخذ الأصنام والأوثان الّتي يصنعها الإنسان آلهة ومنها الأصنام الّتي يصنعها آزر النّجّار أبو إبراهيم عليه السّلام . والمعروف أنّ الواحد من هؤلاء السّفهاء كان يعمل إلهه من العجوة والتّمر فإذا عضّه الجوع افترس إلهه المزعوم افتراساً وازدرده ازدراداً .

وبعد أن تبرّأ إبراهيم عليه السّلام من الآلهة المزعومة ورفض ضلالات قومه صراحةً وعلى رءوس الأشهاد وضع البديل الّذي هداه الله تعالى إليه وألهمه إيّاه كما جاء في الآية الكريمة التّالية . إنّ إبراهيم عليه السّلام قد وجّه وجهه ، والوجه أشرف أجزاء الجسد ، لله سبحانه وتعالى الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لله الّذي فطر السّماوات والأرض وأبدعهما وخلقهما على غير مثالٍ . إنّ إبراهيم عليه السّلام وجّه وجهه إلى الله تعالى وإلى دين الإسلام الّذي رضيه الله تعالى لعباده مائلاً إلى هذا الدّين القيّم عن أيّ دينٍ آخر . وإنّ الميل عن أيّ دينٍ آخر سوى الإسلام وإنّ إفراد الله تعالى بالعباده يعني كلّ ذلك نفي إبراهيم عليه السّلام عن نفسه أن يكون من المشركين . ولمّا كان قومه عليه الصّلاة والسّلام مشركين فهذا معناه أنّ إبراهيم عليه السّلام يعلنها صريحةً بأنّه ليس من قومه لأنّهم مشركون ، وسبق أن وصفهم بأنّهم قومٌ ضالّون ، وهذا معناه أنّ إبراهيم عليه السّلام بفضل الله تعالى عليه ومنّه مهتدٍ وموحّد . وما أكبر هاتين النّعمتين وأعظمهما .

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَآجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾

وحاجّه قومه : وجادل إبراهيمَ قومُه في توحيد الله وبراءته من الأصنام[1] .
إلّا أن يشاء ربّي شيئاً : ولكنّ خوفي من الله الّذي خلقني وخلق السّماوات والأرض

(١) تفسير الطّبريّ ٧/١٦٥ .

فإنّه إن شاء الله ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك نالني به لأنّه قادر على ذلك[1] .

إنّ قوم إبراهيم عليه السّلام الموغلين في الضّلال المصرّين على الكفر يجادلون إبراهيم عليه السّلام في الحقّ الّذي هداه الله تعالى إليه بباطلهم ، ويخوّفونه الآلهة المزعومة المخلوقة العاجزة ، وينهونه عن عقيدة التّوحيد . ويكون من إبراهيم عليه السّلام الإنكار عليهم في أسلوب الاستفهام أن يحاجّوه في الله تعالى وقد هداه ويجادلوه في دين الإسلام الّذي ارتضاه الله تعالى ولايقبل من العبد سواه . وبشأن تخويفهم له آلهتهم العاجزة المغلوبة المقهورة هو يقول لهم بصريح العبارة إنّه لايخافها ولا يأبه في قليلٍ أو كثير للآلهة الّتي يشركونها معه جلّ وعلا في العبادة إنّما يخاف الله تعالى وحده لا شريك له ويخشاه تعالى وحده دون سواه وهو جلّ وعلا القادر على كلّ شيء ، فإن أراده جلّ وعلا بضرّ لاتستطيع الآلهة كشف ضره ، وإن أراده جلّ وعلا برحمته لاتستطيع الآلهة الإمساك برحمته . إنّها أعجز من أن تنفع نفسها أو تضرّ فكيف بسواها . وبعد أن قرّر إبراهيم عليه السّلام القدرة المطلقة للذّات العليّة قرّر العلم المحيط . فالله سبحانه وتعالى وسع كلّ شيءٍ علما ، فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

وفي أسلوب الاستفهام الإنكاري ينعي إبراهيم عليه السّلام على قومه أنّهم لايتذّكرون رغم كلّ هذه الأدلّة القويّة والحجج البيّنة .

لقد كان الأولى بهم أن تكون آذانهم صاغية وقلوبهم واعية .

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

ويبدو أنّ قوم إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام مستمسكون بباطلهم ولازالوا يعتقدون أنّه عليه الصّلاة والسّلام قد أغضب آلهتهم وأنّها قادرةٌ على إلحاق الأذى به عليه الصّلاة والسّلام فهم يخوّفونه منها ، لذا كان منه عليه الصّلاة والسّلام إنكارٌ عنيف عليهم في هيئة الأسلوب الاستفهامي :﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ كيف تريدون منّي أن أخاف الآلهة المزعومة

(١) تفسير الطّبريّ ١٦٦/٧ .

الّتي أشركتموها مع الله تعالى في العبادة وهي العاجزة الّتي لا تُغني فتيلا والّتي لاتسمن ولا تغني من جوع . وفي المقابل أنتم كيف لاتخافون أنّكم أشركتم بالله تعالى ما لم ينزّل به عليكم سلطاناً ، حجّة ولا برهانا ، بعبادتكم تلك الأصنام والأوثان ، كيف لاتخافون أنّكم بشرككم هذا قد أغضبتم الرّحمن . أفأمنتم عقاب الله تعالى وعذابه أحسبتم أنّ الأصنام والأوثان الّتي تعبدونها من دون الله تعالى تملك لكم ضرّاً أو نفعاً ، لقد تبيّن لكم أنّها آلهةٌ عاجزة بدليل كسرى بفأسي رقابها بينما أنا أعبدالله تعالى القادر على كلّ شيء الفعّال لما يريد . فأيّ الفريقين ، نحن أم أنتم ، أحقّ بالأمن من عذاب الله تعالى يوم القيامة يوم لاينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم ، وأي الطّائفتين أصوب ، نحن الّذين نعبد من بيده الضرّ والنّفع أم أنتم الّذين تعبدون ما لايضرّ ولا ينفع ولا يملك موتاً ولا حياةً ولا نشورا . إن كنتم تعلمون أنّا نحن الأحقّ بالأمن والأصوب لأنّا نعبد القادر على كلّ شيءٍ فاتّبعونا وانضمّوا إلى صفوفنا .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

ولم يلبسوا : ولم يخلطوا[1]

بظلمٍ : بشرك[2] .

هذا فصل القضاء من الحقّ جلّ وعلا بين إبراهيم خليل الرّحمن وبين من حاجّه من قومه من أهل الشّرك . إنّ الآية الكريمة تقرّر أنّ الّذين آمنوا بالله تعالى وحده لاشريك له وأفردوه جلّ وعلا بالعباده ولم يخلطوا إيمانهم بشِرْكٍ ، أولئك لهم الأمن من العذاب وهم مهتدون يسيرون في الطّريق المستقيم الموصل إلى الجنّة بإذن الله تعالى العزيز الحكيم .

وقال البخاري .. عن عبدالله قال : لما نزلت ولم يلبسوا إيمانهم بظلم . قال أصحابه : وأيّنا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت : إنّ الشّرك لظلمٌ عظيم[3] .

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٧١/٧ .

(٢) تفسير الطّبريّ ١٧١/٧ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ١٥٢/٢ وتفسير الطّبريّ ١٦٨/٧ وعبدالله هو ابن مسعود . انظر تفسير الطّبريّ ١٧٠/٧ .

وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

الآية الكريمة تتمشّى مع قوله تعالى في سورة العنكبوت[1] : ﴿ والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ، وإنّ الله لمع المحسنين ﴾ إنّ إبراهيم عليه السّلام جاهد في ربّه جلّ وعلا فهداه الله سبحانه وتعالى سبله المؤدّية إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، إلى دين التّوحيد . وإنّ قوم إبراهيم عليه السّلام المشركين المجادلين بالباطل حينما جادلوه في الله تعالى ألهمه الله سبحانه وتعالى الأدلّة العمليّة والقوليّة وأرشده إلى الحجج الفعليّة والقوليّة . وهذا العون من الله تعالى لإبراهيم عليه السّلام يذكّرنا بعون الله تعالى ليوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السّلام الّذي أشار إليه قوله عزّ من قائل في سورة يوسف[2] : ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثمّ استخرجها من وعاء أخيه . كذلك كدنا ليوسف . ما كان ليأخذ أخاه في دِين الملك إلاّ أن يشاء الله . نرفع درجاتٍ من نشاء . وفوق كلّ ذي علم عليم ﴾ فبإلهام من الله تعالى سأل يوسف إخوته عن نوع الحكم الّذي يرتضون إن صحّ أنّ سارق صواع الملك واحدٌ منهم فاختار الإخوة حكم الشّريعة الإبراهيمية الّتي يسترقّ فيها السّارق وليس الحكم الوضعيّ المصريّ الذي يكتفي بأخذ ضعفي ما سُرِق . إنّ الحكم الّذي ارتضاه الإخوة هو وحده الّذي مكّن يوسف بإلهام من الله تعالى أن يستبقي شقيقه بنيامين .

والآية الكريمة هنا تقرّر أنّ ما أجرى الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام هي الحجّة من الله تعالى الّتي آتاها إبراهيم عليه السّلام على قومه كفاء إخلاصه للدّعوة إلى صراط العزيز الحميد .

ويجيء في الآية هنا ما جاء في آية سورة يوسف : ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ فقد رفع الله سبحانه وتعالى درجات النّبيّ الرّسول يوسف عليه السّلام كما رفع من قبل درجات جدّه إبراهيم عليه السّلام .

---

(١) الآية ٦٩ .

(٢) الآية ٧٦ .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى الحكيم في صنعه العليم بخلقه يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء ، ﴿ لايُسْأل عمّا يفعل وهم يُسْألون ﴾[1] .

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۖ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾

الآيات الكريمات تتحدّث عن إبراهيم عليه السّلام أبى الأنبياء وعن نوح عليه السّلام أوّل المرسلين وذلك في ضوء مثل قوله تعالى في سورة الحديد[2] : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرّيّتهما النّبوّة والكتاب فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾ وحديث الآيات الكريمات عن المهتدين من الذّرّيّة بل عن المنعم عليهم من النّبيّين . وكان الحديث ابتداءً عن إبراهيم عليه السّلام المتأخر زمناً لأنّه امتدادٌ عن الحديث عنه عليه السّلام في الآيات الكريمات السّابقات . ويقرّرُ السّياق ابتداءً أنّ الله سبحانه وتعالى وهب لإبراهيم عليه السّلام إسحاق ويعقوب عليهما السّلام وكلاً هدى الله سبحانه وتعالى إلى

---

(١) سورة الأنبياء ٢٣ .

(٢) الآية ٢٦ .

الصّراط المستقيم وأنعم عليه بدرجة النّبوّة . إنّ السّياق ينصّ على كون كلٍّ من إسحاق ويعقوب هبةً من الله تعالى لإبراهيم عليه السّلام لأنّه جلّ وعلا أكرم إبراهيم عليه السّلام على الكبر فوهب له إسماعيل وإسحاق وإلى ذلك أشار قوله تعالى[1] : ﴿ الحمد لله الّذي وهب لي على الكبر إسماعيلَ وإسحاق . إنّ ربّي لسَميع الدّعاء ﴾ بل إنّ فضل الله تعالى العميم على إبراهيم عليه السّلام تجاوز ذلك إلى تبشير إبراهيم عليه السّلام وزوجه سارّة بأنّ إسحاق عليه السّلام سيولد له ولدٌ في حياتكما فتقرّ أعينكما به كما قرّت بوالده ، وإلى ذلك أشار قوله تعالى[2] : ﴿ ولقد جاءت رُسُلُنا إبراهيم بالبُشْرى قالوا سلاماً قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجْلٍ حنيذ . فلمّا رأى أيديهم لاتصل إليه نَكِرَهم وأَوْجَسَ منهم خيفةً قالوا لاتخف إنّا أُرسلنا إلى قوم لوط . وامرأته قائمةٌ فضحكت فبشّرناها بإسحاقَ ومن وراء إسحاق يعقوب . قالت ياويْلَتَي أألدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيْخاً إنّ هذا لشيءٌ عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميدٌ مجيد ﴾ والمعروف أنّ كلّ الأنبياء بعد إبراهيم عليه السّلام من ذرّيّة إسحاق عليه السّلام باستثناء خاتم الأنبياء وأشرفهم محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم فإنّه من ذرّيّة إسماعيل عليه السّلام .

ويقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة قد هدى نوحاً عليه السّلام من قبل باعتباره السّابق زمناً . وينصّ السّياق بعد ذلك على ذرّيّة نوحٍ عليه السّلام ممّن هدى الله تعالى وأكرم بنعمة النّبوّة ، وذلك في القول : ﴿ ومن ذرّيّته ﴾ ففي عودة الضّمير إلى نوحٍ عليه السّلام وليس إلى إبراهيم عليه السّلام لأنّ نوحاً عليه السّلام أقرب مذكور دخولٌ لكلّ المذكورين ضمن ذرّيّة نوح عليه السّلام بخلاف ما لو عاد الضّمير إلى إبراهيم عليه السّلام ففي ذلك خروجٌ لبعض الذّرّيّة لأنّهم ليسوا من أبناء إبراهيم عليه السّلام .

وينصّ السّياق على داود عليه السّلام وعلى ابنه سليمان عليه السّلام وعلى أيّوب وعلى يوسف بن يعقوب وعلى موسى وهارون عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه . ويوصف أولئك جميعاً بالمحسنين الّذين أثابهم الله تعالى جزاء إحسانهم وكافأهم بنعمة النّبوّة . والمعروف أنّ درجة الإحسان أعلى درجات سلّم التّقوى والصّلاح .

وينصّ السّياق بعد ذلك على زكريّا عليه السّلام وابنه يحى عليه السّلام وعيسى عليه

---

(١) سورة إبراهيم ٣٩ .

(٢) سورة هود ٦٩ — ٧٣ .

السلام . والمعروف أنّ يحي وعيسى عليهما السّلام ابنا خالة . كما ينصّ السّياق على إلياس عليه السّلام . ويوصَف كلٌّ من هؤلاء المنعم عليهم بأنّه صالح . والمعروف أنّ صفة الصّلاح واسعة المدى وتأخذ في الارتفاع صعداً حتّى تنتهي إلى مستوى النّبيّين والمرسلين .

وينصّ السّياق بعد ذلك على إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام والمعروف أنّ النّبيّ الوحيد من ذرّيّة إسماعيل هو محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم كما ينصّ على اليسع ويونس ولوط ، ويقرّر أنّ كلاً من هؤلاء المنعم عليهم قد فضّله الله سبحانه وتعالى على العالمين بالنّبوّة .

وينصّ السّياق على المنعم عليهم من آبائهم وذرّيّاتهم وإخوانهم . والمعروف أنّ ربّ العزّة قصّ في القرآن الكريم بعض الرّسل وليس كلّ الرّسل . وهؤلاء جميعاً اجتباهم الله تعالى واصطفاهم بنعمه ، وهداهم إلى صراطٍ مستقيم وهو دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به كلّ النّبيّين .

ويقرّر السّياق أنّ ذلك الدّين القيمّ هو هدى الله سبحانه وتعالى الّذي يهدي به من يشاء من عباده .

كما يقرّر السّياق أنّ أيّاً من هؤلاء المنعم عليهم لو أشرك ، والمعروف أنّ افتراض الشّيء لايعني تحقّقه ، لحبط عمله ، لأنّ الشّرك هو الذّنب الوحيد الّذي لايغفره الله تعالى . إنّ لسان الحال يقول : عليكم أيّها النّاس بالتّوحيد ونبذ الشّرك .

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

أولئك الّذين أنعم الله تعالى عليهم بالهداية ابتداءً بنوحٍ عليه السّلام هم الّذين آتاهم الله سبحانه وتعالى الكتب السّماويّة وهي صحف إبراهيم وزبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وآتاهم الحكمة وفهم الكتب السّماويّة ، وآتاهم النّبوّة ، فإن يكفر قومك يا محمّد بنبوّتك وبالآيات البيّنات الّتي أوحيتها إليك وإن يُعْرض كفّار مكّة عن دعوتك فقد وكّلنا بها وأرصدنا لها قوماً ليسوا بها بكافرين وهم المهاجرون والأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الّذين بذلوا في سبيل رسالة الإسلام النّفس والنّفيس .

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

اقتده : الهاء للسّكت وقفاً ووصلاً وفي قراءةٍ بحذفها وصلاً[1] ومعنى الاقتداء في كلام العرب بالرّجل اتّباع أثره والأخذ بهديه[2] .

إنّ أولئك المنعم عليهم بالنّبوّة ابتداءً بنوحٍ عليه السّلام والّذين آتاهم الله تعالى الكتاب والحكمة هم الّذين هدى الله سبحانه وتعالى إلى الصراط المستقيم دين الإسلام . وتأمر الآية الكريمة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقتدي بهؤلاء المنعم عليهم في الجهاد وفي الصّبر ، كما تأمره عليه الصّلاة والسّلام أن يقول لأهل مكّة : لا أسألكم على القرآن الكريم أجراً . إنّ القرآن ما هو إلاّ ذكرى للعالمين وموعظةٌ للثّقلين الإنس والجنّ ، فعليكم أن تؤمنوا بهذا الكتاب العزيز وأن تقدروا هذه النّعمة حقّ قدرها .

---

(١) الجلالين .

(٢) تفسير الطّبريّ ١٧٦/٧ .

اللهُ تعالى مُنزِلُ كلِّ الكُتُبِ السَّماويَّةِ

وإنذارٌ للمفترينَ على اللهِ الكذبَ وللمنكرينَ للبعثِ

الآيات: ٩١ — ٩٤

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

وما قدروا الله حقّ قدره : وما أجلّوا الله حقّ إجلاله ولا عظّموه حقّ تعظيمه[١] .

تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً : أي تجعلون جملتها قراطيس أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصليّ الّذي بأيديكم وتحرّفون منها ما تحرّفون ، وتبدّلون وتتأوّلون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله[٢] .

ثمّ ذرهم في خوضهم : فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته[٣] .

يلعبون : يستهزئون ويسخرون[٤] .

سبب النّزول

اختلف العلماء في سبب نزول الآية الكريمة ، فمنهم من ذهب إلى كونها في اليهود الّذين أنكر بعض أحبارهم أن يكون الله سبحانه وتعالى قد أنزل أيّ كتابٍ سماويّ على واحدٍ من البشر[٥] والّذي يقوّي هذا الرّأي ذكر موسى عليه السّلام وكتابه وعبث بني إسرائيل بالتّوراة .

ومن العلماء من ذهب إلى نزول الآية الكريمة في كفّار قريش ، وحجتّهم في ذلك أنّ السّورة الكريمة مكّيّة[٦] وقد وافق ابن كثير ابن جرير في رأيه أنّ الآية في كفّار مكّة : « لأن الآية مكيّة واليهود لاينكرون إنزال الكتب السّماوية وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٧٦/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٥٦/٢ .

(٣) تفسير الطّبريّ ١٧٩/٧ .

(٤) تفسير الطّبريّ ١٧٩/٧ .

(٥) انظر مثلاً أسباب النّزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النّيسابوريّ ص ١٤٧ .

(٦) انظر ما قاله الطّبريّ في سبب نزول الآيات الكريمة في التّفسير ١٧٦/٧ فما بعدها .

إرسال محمّد صلّى الله عليه وسلّم لأنّه من البشر »[1] .

تبيّن الآية الكريمة أنّ كفّار مكّة ما قدروا الله حقّ قدره ولا أجلّوه حقّ إجلاله ولا عظّموه حقّ تعظيمه إذ قالوا ما أنزل الله سبحانه وتعالى على بشرٍ من شيءٍ من الكتب السّماويّة ومنها بطبيعة الحال في زعمهم القرآن الكريم . ولمّا كان بين كفّار قريش وبين يهود نوعٌ من علاقة قبل هجرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم فقد كان كفّار قريش مثلاً يسألون يهود بعضاً من الأسئلة باعتبارهم أهل كتاب وكان يهود يكذبون في ردّهم ، لذا فقد كان ثمّة تحوّلٌ إلى سؤال كفّار مكّة عن الكتاب الّذي أنزله الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السّلام والّذي يحمله اليهود أصدقاء كفّار قريش . والسّؤال هو : من أنزل الكتاب السّماويّ الّذي جاء به موسى عليه السّلام نوراً يستضيء به اليهود وهدىً لهم من الضّلالة .

ولمّا كان يهود قد حرّفوا الكلم من بعد مواضعه فقد كان ثمّة التفاتٌ إليهم بقصد التّنبيه إلى تحريفهم للتّوراة واشترائهم بآيات الله تعالى ثمناً قليلاً وبقصد التّنبيه إلى كون القرآن الكريم مهيمناً على الكتب السّماويّة السّابقة وكون دين الإسلام ناسخاً لكلّ الأديان الأخرى .

إنّ يهود جعلوا التّوراة أجزاءً في قراطيس متفرّقة ودوّنوها موزّعةً على وسائل الكتابة آنذاك . وقد أظهر يهود هذه القراطيس من التّوراة للنّاس بينما أخفوا كثيراً من التّوراة لمكاسب رخيصة وأغراضٍ خسيسة مع أنّ الله سبحانه وتعالى قد أخذ الميثاق من أهل الكتاب لتبيننّ الكتاب السّماويّ كلّه ولاتكتمون شيئاً منه عن النّاس .

ثمّ كانت عودة في الآية الكريمة للّذين علّمهم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم . وهؤلاء هم العرب الّذين منّ الله تعالى عليهم بأن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة .

ويكون في الآية الكريمة الجواب على السّؤال المطروح على الكافرين بأنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي أنزل التّوراة على موسى وأنزل كلّ كتابٍ سماويّ : ﴿ قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ والمعنى قل يا محمّد إنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي أنزل الكتاب الّذي

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٥٦ .

جاء به موسى[1] ثمّ ذر كفّار مكّة واترك المشركين في خوضهم يلعبون وفي استهزائهم يعبثون .

وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

ولتنذر أمّ القرى ومن حولها : عن ابن عبّاس : أمّ القرى مكّة . ومن حولها الأرض كلها[2] .

في الآية الكريمة شهادةٌ من البرّ الرّحيم بأنّ القرآن الكريم الكتاب العزيز قد أنزله جلّ وعلا وأوحى به إلى محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم ، وبأن هذا الكتاب العزيز مبارك تشمل بركته كلّ من تمسّك به وترجم تعاليمه إلى عمل فقد تكفّل الله تعالى في كتابه العزيز في قوله[3] : ﴿ فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى ﴾ تكفّل الله تعالى بأنّ من تمسّك بهذا الكتاب العزيز الّذي تعتبر سنّته صلّى الله عليه وسلّم تبييناً له بأنه لايضلّ في الدّنيا ولا يشقى في الآخرة .

كما تقرّر الآية الكريمة أنّ هذا الكتاب المبارك مصدّق الّذي بين يديه من الكتب ومهيمنٌ عليها ، وأنّ وظيفة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يُنْذر بهذا الكتاب العزيز أهل مكّة ومن حولها من أهل الأرض جميعاً لأنّ النّاس جميعاً يلتفّون حول مكّة متفاوتين قرباً وبعدا . ويزيد المؤمنون بأنّهم يتّجهون في صلاتهم إليها . وقد تبيّن للجغرافيّين أنّ مكّة المكرّمة قلب الكرة الأرضيّة[4] .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ الّذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بهذا الكتاب العزيز ويترجمون تعاليمه إلى عمل وإنّ من أوضح الأدلّة على صدق إيمانهم الصّلوات الخمس المفروضة الّتي يؤدّونها ويحافظون عليها لأنّ الصّلاة عماد الدّين .

---

(١) هذا رأي ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ قل الله ﴾ تفسير ابن كثير ١٥٦/٢ .
(٢) تفسير الطّبريّ ١٨٠/٧ .
(٣) سورة طه ١٢٣ .
(٤) انظر السّيرة النّبويّة لأبي الحسن النّدويّ ص ٣٢ هامش ٣ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

في غمرات الموت : في سكرات الموت[1] .

والملائكة باسطو أيديهم : أي بالضّرب لهم حتّى تخرج أنفسهم من أجسادهم وهذ يقولون لهم﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾وذلك أنّ الكافر إذا احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنّكال والأغلال والسّلاسل والجحيم والحميم وغضب الرّحمن الرّحيم فتتفرّق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتّى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم أخرجوا ..[2] .

الهُون : الهوان[3] .

تقرّر الآية الكريمة أنّه لا أحد أظلم ممّن افترى على الله تعالى كذباً بنسبة الشّريك إليه أو الصّاحبة أو الولد أو قال أوحى الله سبحانه وتعالى إليّ بالنّبوّة وبالكتاب ولم يُوحَ إليه شيءٌ من ذلك ، ولا أحد أظلم ممّن قال سأنزل مثل ما أنزل الله تعالى من القرآن الكريم وذلك على غرار كفّار مكّة الّذين جاء على لسانهم قوله عزّ من قائل في سورة الأنفال[4] : ﴿ وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلاّ أساطيرُ الأوّلين ﴾ .

ولو ترى يا محمّد إذ الظّالمون بارتكابهم الذّنب الّذي لايغفره الله تعالى وهو الإشراك

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٨٣/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٥٧/٢ .

(٣) تفسير الطّبريّ ١٨٣/٧ .

(٤) الآية ٣١ .

معه جلّ وعلا سواه وهم في سكرات الموت والملائكة باسطو أيديهم بالضّرب لهم قائلين لهم أخرجوا أنفسكم وأرواحكم الّتي تفرّقت في أجسادكم فَرَقاً وأبت الخروج جزعاً لعلمها بسوء المصير والمنقلب ، وقائلين لهم كذلك : اليوم تجزون عذاب الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ بنسبة الشّريك إليه تعالى والصّاحبة والولد ، وبما كنتم تستكبرون عن آياته جلّ وعلا ولا تؤمنون بها .

وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً فظيعاً .

وبشأن بسط أيدي الملائكة لضرب الكافرين جاء مثل قوله تعالى[1] : ﴿ فكيف إذا توفّتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ وقوله تعالى[2] : ﴿ ولو ترى إذ يتوفّى الّذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوهَهُم وأدْبارَهُم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ .

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم : وخلّفتم ما مكّنّاكم في الدّنيا ممّا كنتم تتباهون به فيها خلفكم في الدّنيا فلم تحملوه معكم . وكلّ من ملّكته غيرك وأعطيته فقد خوّلته ، يقال منه : خال الرّجل يخال أشدّ الخِيال بكسر الخاء وهو خائل[3] .

وما نرى معكم شفعاءكم الّذين زعمتم أنّهم فيكم شركاء : أي في العبادة ، لهم فيكم قسطٌ في استحقاق العبادة لهم[4] .

ويقال لأولئك الظّالمين المنكرين للبعث وقد خرجوا من قبورهم يوم القيامة لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرة حفاةً عراةً غُرْلاً ، وتركتم وراءكم في الدّنيا ما أعطيناكم فيها

---

(١) سورة محمّد ٢٧ .

(٢) سورة الأنفال ٥٠ .

(٣) تفسير الطّبريّ ١٨٤/٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٥٨/٢ .

ومكّنّاكم من الحصول عليه من مالٍ وولدٍ وجاهٍ ، وخلّفتموه وراء ظهوركم ، وما نرى معكم في هذا الموقف العصيب شفعاءكم من الأصنام الّتي عبدتموها من دون الله تعالى وزعمتم أنّها ستشفع لكم عند الله تعالى وادّعيتم أنّهم فيكم شركاء وأنّ لهم فيكم قسطاً في استحقاق العبادة لهم . لقد تقطّعت بينكم وبين الآلهة المزعومة الأسباب والمودّات والعلاقات وغاب عنكم ما كنتم تزعمون في الدّنيا من شفاعتها . قال عزّ من قائل[1] : ﴿ الأخلاّء يومئذٍ بعضُهُمْ لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المتّقين ﴾ ثبت في الصّحيح أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت . أو لبست فأبليت . أو تصدّقت فأمضيت . وما سوى ذلك فذاهبٌ وتاركه للنّاس[2] .

---

(١) سورة الزّخرف ٦٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٥٧/٢ .

مِنْ آياتِ اللهِ تعالى الدالّة على قدرته وإنكار على المشركين
وتصريف الآيات لِلمؤمنين
الآيات : ٩٥ – ١٠٥

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

إنّ الله فالق : شاقّ[١] .

الحبّ : جمع الحبّة[٢] يعني شقّ الحبّ من كلّ ما ينبت من النّبات فأخرج منه الزّرع[٣] .

والنّوى : جمع النّواة[٤] يعني شقّ النّوى من كلّ ما يغرس ممّا له نواة فأخرج منه الشّجر[٥] .

ويغلب ارتباط الحبّ بالسّنبلة ويغلب ارتباط النّوى بالنّخلة ، لذا قال السّدي : أمّا فالق الحبّ والنّوى ففالق الحبّ عن السّنبلة وفالق النّواة عن النّخلة[٦] .

فأنّي تؤفكون : فكيف تصرفون عن الحقّ وتعدلون عنه إلى الباطل فتعبدون معه غيره[٧] .

بقصد أن تحثّ الآية الكريمة النّاس على عبادة الله تعالى وبقصد حمل المشركين على توحيد الله تعالى وإفراده جلّ وعلا بالعبادة تلفت الآية الكريمة الانتباه إلى بعض مظاهر قدرة الله تعالى القادر على كلّ شيء الفعّال لما يريد . إنّ الآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى هو شاقّ الحبّ والنّوى وحده لاشريك له فيخرج عن الحبّ الزّرع وبخاصّة سنابل القمح ويخرج عن النّوى الشجر وبخاصّةٍ النّخل . إنّ هذه العمليّة العجيبةالدّقيقة تنبّهنا الآية الكريمة إليها وكأنّها تخلّصنا من بلادة المشاعر بسبب اعتيادنا لهذه الأمور العجيبة الغريبة .

وتقرّر الآية الكريمة كذلك أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي يخرج الحيّ من الميّت

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير الطّبريّ ١٨٦/٧ .
(٣) تفسير الطّبريّ ١٨٦/٧ .
(٤) تفسير الطّبريّ ١٨٦/٧ .
(٥) تفسير الطّبريّ ١٨٦/٧ .
(٦) تفسير الطّبريّ ١٨٦/٧ .
(٧) تفسير ابن كثير ١٥٨/٢ .

كالإنسان من النّطفة والطّائر من البيضة ، ويخرج الميّت من الحيّ كالنّطفة من الإنسان والبيضة من الطّائر .

ويصحّ أن ينظر إلى الحبّ والنّوى ، الزّرع والشّجر من زاوية إخراج الله سبحانه وتعالى الحيّ من الميّت ، فالأرض ميتة وتحيا بالماء وتشقّ الحبّ والنّوى وهو ميّت وتخرج الزّرع والشّجر . وكما يحيا النّبت يموت . يحدث كلّ ذلك بإرادة الله تعالى القادر على كلّ شيء .

وفي معرض الإنكار على المشركين مع الله تعالى سواه يأتي أسلوب الاستفهام في القول :﴿ فأنّى تؤفكون ﴾والمعنى فكيف تصرفون عن الحقّ إلى الباطل وكيف لاتعبدون الحقّ القادر على كلّ شيء وتعبدون الباطل العاجز عن كلّ شيء . ولا يكاد الإنكار والتّبكيت والتّقريع للمشركين يقف عند حدّ ، خاصّةً بعد توضيح هذه الأدلّة والبراهين .

وإنّ من أهمّ ما يلفت الانتباه في هذا القسم من السّورة الكريمة التّنويع في الآيات ، وقد استتبع ذلك التّنويع في التّعبير فنحن نجد صيغة فالق وليس جملة فلق بينما نجد جملة يخرج وليس صيغة مُخْرِج ، الّتي تقابلها ، بينما نجد أخيراً صيغة مخرج وليس جملة يخرج ، وكلّ ذلك من باب التّنويع في التّعبير المعمّق للتّنويع في الأدلّة . والله أعلم .

فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾

فالق الإصباح : شاقّ عمود الصّبح عن ظلمة اللّيل وسواده . والإصباح مصدر من قول القائل : أصبحنا إصباحاً[1] .

وجعل اللّيل سكناً : يسكن فيه كلّ متحرّك بالنّهار ويهدأ فيه فيستقرّ في مسكنه ومأواه[2] .

والشّمس والقمر حسباناً : يجريان في أفلاكهما بحساب[3] مقنّن لايتغيّر ولا يضطرب[4] .

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٨٧/٧ .
(٢) تفسير الطّبريّ ١٨٨/٧ .
(٣) تفسير الطّبريّ ١٨٨/٧ .
(٤) تفسير ابن كثير ١٥٨/٢ .

الآية الكريمة ذات علاقةٍ بالليل والنّهار والشّمس والقمر . أي بالزّمان بعد أن كانت الآيات في الآية الكريمة السّابقة متعلّقةً بالمكان . وأوّل ما يلفت الانتباه هو التّنويع في التّعبير على غرار التّنويع في التّعبير في الآية الكريمة السّابقة فنحن أمام فالق وجملة جعل . وهذا التّنويع ذاته منسجمٌ مع التّنويع في الآية الكريمة السّابقة فنحن بصدد صيغة فالق في الآيتين الكريمتين ونحن في الآية الثانية مع جملة جعل الّتي تقابل جملة يخرج في الآية الكريمة السّابقة . وهذا الانسجام الصّوتيّ بين الآيتين الكريمتين قوّى من الانسجام الصّوتيّ بين جملة جعل والقول : ﴿ سكناً ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وجعل اللّيل سكناً ﴾ ثمّ إنّ لفظة ﴿ فالق ﴾ في الآية الكريمة الثّانية الّتي جاءت على غرار اللّفظة ذاتها في الآية الكريمة السّابقة قد اقترن بها تقديم الإصباح وهو جزءٌ من النّهار على اللّيل . وقد جرت العادة في القرآن الكريم أن يتقدّم الحديث عن اللّيل والظّلمة باعتبارهما الأصل على النّهار والنّور إلاّ إذا اقتضت الحكمة غير ذلك كما هو الحال هنا لأنّ من أهمّ نعوت هذا القسم من السّورة الكريمة التّنويع في الآيات وفي التّعبير . وإنّ مجيء الإصباح وهو جزءٌ من النّهار قبل اللّيل قوّةٌ لهذا التّنويع .

والآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى هو شاقّ ضياء الصّباح ومخرج عمود نور الصّبح ، وهو أوّل ما يبدو من نور النّهار عن ظلمة اللّيل . ويتولّد عن انبلاج نور الفجر وانفجار ضوء الشّمس التّابع له انبعاث الخلائق نهاراً . وكما استدعى في الآية الكريمة السّابقة الحبُّ النّوى ، والحيُّ الميّت والميتُ الحيّ ، استدعى الإصباح وهو جزٌ من النّهار اللّيل .

والآية الكريمة تبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى جعل اللّيل مظلماً كي تسكن فيه الخلائق بعد الانبعاث في النّهار والكسب والكدح فيه .

ولمّا كان اللّيل والنّهار ثمرة غياب الشّمس وظهورها ، فقد كان بعد ذلك الحديث عن الشّمس الّتي استدعت هي الأخرى بدورها القمر ، الّذي يرتبط بكلٍّ من اللّيل والنّهار . والمعروف أنّ ارتباط القمر باللّيل أشدّ ، وأنّ ارتباط الشّمس بالنّهار أشدّ ، فثمة توازنٌ بين اللّيل والنّهار والشّمس والقمر إضافةً إلى التّجانس في الأنواع والتّنويع في الأسلوب .

وكان النّصّ بشأن الشّمس والقمر على كونهما يجريان بحسابٍ مقدّر مضبوط ، ويرتبط بذلك الاعتماد عليهما في الحساب بنصّ القرآن الكريم .

وينصّ في الجزئية الكريمة الأخيرة على أنّ نعمة الزّمان هذه تقدير العزيز في ملكه الغالب القادر على كلّ شيء العليم بكلّ شيءٍ ومن ذلك مصالح عباده جلّ وعلا .

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾

اشتملت الآية الكريمة السّابقة على آيتي الشّمس والقمر ، ويلحق بهما النّجوم . وقد عرضت هذه الآية الكريمة التّالية لهذه الآية من آيات الله تعالى الدّالّة على قدرته . والآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى جعل لنا نحن البشر النّجوم لنهتدي بها في ظلمات البرّ والبحر فنصل بفضل الله تعالى إلى غاياتنا آمنين مطمئنّين . ويبدو شيءٌ من فضل الله تعالى على النّاس في الاهتداء بالنّجوم ويتجلّى شيءٌ من هذه النّعمة العظيمة حينما يضلّ النّاس طريقهم ليلاً في البرّ أو في البحر وتكون السّماء ملبّدةً بالغيوم . ولا ننسى أنّ كلّ الوسائل البشريّة مهما بلغت من الدّقّة والإتقان يجوز عليها الخطأ والخراب ، وليس كذلك النّجوم الّتي يهتدى بها الخلائق . وإذا كان النّاس يعتمدون على النّجوم في عمليّة الاهتداء بدرجةٍ أكبر فإنّ للشّمس والقمر حظّاً في هذه العمليّة ، وهذا نوعٌ من الرّباط بين الشّمس والقمر والنّجوم ، إضافةً إلى علم عدد السّنين والحساب .

وتنصّ الآية الكريمة على أنّ الله سبحانه وتعالى يبيّن الحجج ويوضّح البراهين لقومٍ يعلمون هذه الآيات والنّعم ويقومون بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى بإفراده تعالى بالعبادة . ويلاحظ وصف القوم بالعلم هنا كما يلاحظ في الآية الكريمة السّابقة وصف الذّات العليّة بالعلم إضافة الى العزّة . فصفة العلم مرتبطةٌ بالنّجوم وكذلك بالشّمس والقمر لارتباط علم الحساب بهذه الوسائل الثّلاث ، الشّمس والقمر أساساً .

قال بعض السّلف : من اعتقد في هذه النّجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه إنّ الله جعلها زينةً للسّماء ورجوماً للشّياطين ويهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥٩/٢ .

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

بعد الحديث عن آيتي المكان والزّمان ، ومن المعروف أنّ إحساس الإنسان بالمكان يسبق في العادة إحساسه بالزّمان يتمّ التّحوّل إلى النّفس الإنسانيّة الّتي يحتاج الإنسان إلى مستوىً رفيعٍ من الفطنة كي يبصرها ويتدبّر ذاته العجيبة الفريدة تمشّياً مع قوله عزّ من قائل[1] : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ ولايزال العلماء بمرور اللّيالي والأيّام ، السّنين والقرون يتأكّدون أنّ النّفس الإنسانيّة بحرٌ لا ساحل له ، فلا عجب أن يتأخّر في السّياق الحديث عن هذه النّفس الإنسانيّة بعد أن مرّ الحديث بآيتي المكان والزّمان الأقرب تناولاً .

والآية الكريمة تقرّر أن الله سبحانه وتعالى هو الّذي أنشأنا من نفسٍ واحدة وخلقنا من آدم عليه السّلام ، ومن ضِلَع آدم عليه السّلام خلق الله تعالى زوجه حوّاء وقد قال تعالى[2] : ﴿ يا أيها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً . واتّقوا الله الّذي تساءلون به والأرحام . إنّ الله كان عليكم رقيباً ﴾ .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى جعل أرحام النّساء مستقرّاً للنّطفة وللولد وجعل أصلاب الرّجال مستودعاً للنّطفة وللذّرّيّة . كما تقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى قد فصّل الآيات وبيّنها لقومٍ يفقهون ، يتأمّلون ويتدبّرون ويفهمون ويبنون النّتائج الصّحيحة على الأسباب الصّحيحة فيفردون الله تعالى بالعبادة . إنّ الفقه جاء بشأن هذا الإنسان بينما جاء العلم بشأن النّجوم . والنّفس الإنسانيّة تحتاج فقهاً وعمقاً في الفهم .

---

(١) سورة الذّاريات ٢١ .

(٢) سورة النّساء ١ .

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

فأخرجنا منه خضراً : فأخرجنا من النّبات شيئاً أخضر[١] وزرعاً وشجراً أخضر[٢] .

نخرج منه حبّاً متراكماً : نخرج من الخضر حبّاً ، يعني ما في السّنبل سنبل الحنطة والشّعير والأرزّ وما أشبه ذلك من السّنابل الّتي حبّها يركب بعضه بعضاً[٣] .

ومن النّخل : خبر المبتدأ قنوان[٤] .

من طلعها : من طلع النّخلة . والطّلع من النّخل شيءٌ يخرج كأنّه نعلان مُطْبَقان والحمل بينهما منضود[٥] .

قنوان : القنوان جمع قنو كما الصّنوان جمع صِنو وهو العذْق . يقال للواحد هو قِنو وقُنو وقِنا يثنّى قنوانِ ويجمع قِنوانٌ وقُنوانٌ[٦] والعذق من النّخلة كالعنقود من العنب[٧] .

دانية : قريبة من المتناول كما قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس[٨] عن ابن عبّاس يعني بالقنوان الدّانية قصار النخل لاصقة عذوقها بالأرض[٩] .

والزّيتون والرّمّان مشتبهاً وغير متشابه : قال قتادة وغيره : متشابه في الورق والشّكل قريبٌ بعضه من بعض ومتخالفٌ في الثّمار شكلاً وطعماً وطبعاً[١٠] .

وينْعه : نضجه وبلوغه حين يبلغ[١١] .

تقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي أنزل من السّماء ماءً فأخرج به

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير ابن كثير ١٥٩/٢ .
(٣) تفسير الطّبريّ ١٩٤/٧ .
(٤) الجلالين .
(٥) القاموس .
(٦) تفسير الطّبريّ ١٩٤/٧ .
(٧) انظر القاموس : « عذق » .
(٨) تفسير ابن كثير ١٥٩/٢ .
(٩) تفسير الطّبريّ ١٩٥/٧ .
(١٠) تفسير ابن كثير ١٥٩/٢ وتفسير الطّبريّ ١٩٥/٧ .
(١١) تفسير الطّبريّ ١٩٦/٧ .

جلّ وعلا نبات كلّ شيءٍ ينبت فأخرج جلّ وعلا من النّبات زرعاً وشجراً أخضر ، فأخرج منه جلّ وعلا حباً متراكباً بعضه على بعض كسنابل الحنطة والشّعير والأرزّ وما أشبه ذلك .

ومن النّخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ قريبة التّناول وعراجين لايصعب الوصول إليها والحصول عليها .

كما أخرج الله سبحانه وتعالى بالماء جنّاتٍ من أعناب والمعروف أنّ النّخيل والأعناب أشرف الثّمار عند أهل الحجاز[1] وربّما سكان الجزيرة العربيّة جمعاء ، كما أخرج الزّيتون والرّمّان مشتبهاً في الشّكل والورق مختلفاً في الثّمر شكلاً وطعماً ورائحة .

وتعميقاً للآيات المتنوّعة وأشكال التّعبير المختلفة يجيء الأمر بالنّظر : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾ والمعنى انظروا أيّها النّاس إلى ثمر هذا النّبات إذا أثمر وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ . ويبدو دور النّظر الّذي يتمشّى مع اختلاف المناظر وتنوّع جمالها وتعدّد جلالها حينما نقارن بين الأمر بالنّظر هنا وبين الأمر بالأكل من ذلك الثّمر في الآية الكريمة الحادية والأربعين بعد المائة من هذه السّورة الكريمة . وهذه الآية الكريمة تأتي مفردةً خاليةً من التّنوّع في التّعبير والاختلاف في الأسلوب . بل إن التّنوّع في التعبير إذا تجلّى في هذه الجزئيّة الكريمة : ﴿ والزّيتون والرّمّان مشتبهاً وغير متشابه ﴾ فثمة اختلاف بين مشتبه ومتشابه . فإنّ التّماثل هو الّذي يجيء في الجزئيّة الكريمة من الآية الأخرى : ﴿ والزّيتون والرّمّان متشابهاً وغير متشابه ﴾ .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ في هذه الدّلائل على قدرة الله تعالى لآياتٍ لقومٍ يؤمنون بالله تعالى ربّاً وبمحمّد صلّى الله عليه وسلّم رسولاً وبالقرآن الكريم دستوراً . وحينما تجيء الإشارة إلى الإيمان في القول : ﴿ إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون ﴾ ففي ذلك تنبيهٌ إلى أنّ هذه الأمور العجيبة خليقةٌ بأن تقود المرء إلى الإيمان حينما يُلْقى السّمع ويجيد الإصغاء وحينما يكون شهيداً بقلبه حاضراً بوجدانه .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥٩/٢ .

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

وجعلوا لله شركاء الجنّ : وجعلوا لله الجنّ شركاء[١] .

وخرقوا له بنين وبنات : اختلقوا وافتعلوا وافتروا[٢] وائتفكوا وتخرّصوا وكذبوا[٣] .

على الرّغم من كلّ الآيات البيّنات والحجج الواضحات فإنّ المشركين جعلوا لله سبحانه وتعالى الجنّ شركاء بينما الله سبحانه وتعالى هو المتفرّد بخلقهم . وإنّ جعل المشركين الجنّ شركاء لله تعالى يكون بعبادتهم للجنّ مباشرة ويكون بطاعتهم للجنّ الّذين يوحون لهم بالإشراك مع الله تعالى غيره في العبادة . ومن مظاهر شركهم كذلك أنّهم كذبوا على الله تعالى فجعلوا له بنين وبناتٍ بغير علمٍ صحيحٍ ولا هدىً ولا كتابٍ منير فزعم اليهود أنّ عزيراً ابن الله وزعم النّصارى أنّ المسيح ابن الله وزعم العرب أنّ الملائكة بنات الله . ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا ﴾ .

وتبادر الآية الكريمة إلى تنزيهه جلّ وعلا عمّا ألحقه به الظّالمون ووصفوه من اتّخاذ البنين والبنات سبحانه وتعالى علوّاً كبيرا .

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

تعمّق الآية الكريمة تنزيهه جلّ وعلا ممّا ألحقه به الظالمون من البنين والبنات فتقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى هو مبدع السّماوات والأرض وموجدهما على غير مثالٍ سابق فكلّ ما في السّماوات والأرض مخلوق له جلّ وعلا فكيف يكون له جلّ وعلا ولدٌ ولم تكن له صاحبة : « أي والولد إنّما يكون متولّداً بين شيئين متناسبين والله تعالى لايناسبه ولا يشابهه شيءٌ من خلقه لأنّه خالق كلّ شيءٍ فلا صاحبة له ولا ولد »[٤] : ﴿ لو أراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾[٥] إنّ الله سبحانه وتعالى

(١) تفسير الطّبريّ ١٩٧/٧ .
(٢) تفسير الطّبريّ ١٩٧/٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ١٦٠/٢ .
(٤) تفسير ابن كثير ١٦٠/٢ .
(٥) سورة الزّمر ٤ .

خالق كلّ شيءٍ وهو بكلّ شيءٍ عليم فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ في الأرض ولا في السّماء وهو تعالى مجازٍ كلّ واحدٍ على عمله ، إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشرّ .

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾

إنّ الله سبحانه وتعالى الّذي خلق كلّ شيءٍ والّذي هو بكلّ شيءٍ عليم هو الله ربّكم لا إله إلاّ هو وحده لاشريك له وهو خالق كلّ شيءٍ بما في ذلك المعبودون من دون الله تعالى ، فاعبدوه وحده لاشريك له ، وأقرّوا له بالوحدانيّة ، واعترفوا له بالعبوديّة . وهو جلّ وعلا على كلّ شيءٍ وكيل ، رقيب عليه فلا يخفى عليه شيءٌ ممّا يأتي أو يدع ، حفيظ يدبّر كلّ ما سواه ويرعاه ويرزقه سبحانه وتعالى .

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

تقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ولا تحيط به وهو يدرك الأبصار ويحيط بها وهو اللّطيف بأوليائه الخبير بهم ، اللّطيف في معالجة كلّ الأمور الخبير بدقائقها وحقائقها .

وإذا نظرنا إلى القول :﴿ لا تدركه الأبصار ﴾من زاوية هذه الحياة الدّنيا فهمنا أنّ الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ولا تراه جلّ وعلا .

وإذا نظرنا إلى القول من زاوية الحياة الأخرى وجدنا التّفسير الشّافي في القرآن الكريم وفي سنّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى[1] : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرة . إلى ربّها ناظرة ﴾ وقوله تعالى عن الكافرين[2] : ﴿ كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذٍ لمحجوبون ﴾ قال الإمام الشّافعيّ : فدلّ هذا على أنّ المؤمنين لايحجبون عنه تبارك وتعالى . وأمّا السّنّة فقد توارت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصّحابة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ المؤمنين يرون الله في الدّار الآخرة في

(١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة المطفّفين ١٥ .

العرصات وفي روضات الجنّات جعلنا الله تعالى منهم بمنّه وكرمه[1] وقد أخبر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أمّته أنّهم سيرون ربّهم يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر وكما ترون الشّمس ليس دونها سحاب[2] . ولهذا كانت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تثبت الرّؤية في الدّار الآخرة وتنفيها في الدّنيا وتحتجّ بهذه الآية : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . فالّذي نفته الإدراك الّذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه فإنّ ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشيء[3] ويقول ابن كثير[4] : « وقوله : لاتدركه الأبصار . فيه أقوال للأئمّة من السّلف . أحدها : لا تدركه في الدّنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من غير ما طريقٍ ثابت في الصّحاح والمسانيد والسّنن » .

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾

قدِ جاءكم بصائر من ربّكم : البصائر هي البيّنات والحجج الّتي اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم[5] .

وما أنا عليكم بحفيظ : وما أنا عليكم بحافظ ولا رقيب[6] أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم[7] .

تُقرّر الآية الكريمة أنّ الإنسانيّة قد جاءها فعلاً ووصلها عن طريق محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم بصائر من ربِّهم وحججٌ بيّنات منه تعالى تبيّن لها الرّشد من الغيّ ، فمن أبصر بعين البصيرة واهتدى فلنفسه لأنّ ثواب الاهتداء عائدٌ إليه ، ومن عمي عن طريق الهدى وكان في هذه الحياة الأولى أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً وعليه وزر الضّلال الّذي اختار والغيّ الّذي آثر .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٦١/٢ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٢٠٠/٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ١٦٢/٢ .
(٤) تفسير ابن كثير ١٦١/٢ .
(٥) تفسير ابن كثير ١٦٢/٢ .
(٦) تفسير ابن كثير ١٦٢/٢ .
(٧) تفسير الطّبريّ ٢٠٤/٧ .

وعلى لسان المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يجيء القول خطاباً للإنسانيّة : ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ والمعنى وما أنا عليكم أيّها النّاس بحافظٍ لكم ولا رقيب عليكم ولا بمسيطرٍ عليكم . وليس عليّ سوى البلاغ وعلى الله سبحانه وتعالى الحساب .

وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

وكما صرّفنا الآيات في هذه السّورة الكريمة في بيان التّوحيد ووضّحنا الحجج الدّالّة على أنّه لا إله إلاّ الله نصرّف الآيات على كلّ وجه ونفصّلها في كلّ معنى لتنبيه الغافلين وإرشاد الضّالّين وهداية المهتدين . والعجيب في أمر الكفّارمكّة ومن لفّ لفّهم أنّهم لايزدادون بنزول الآيات تباعاً إلاّ ضلالاً وعناداً ، وبدلاً من أن تؤدّي بهم الحجج الواضحات إلى التّصديق وتنتهي بهم الأدلّة البيّنة للإيمان هي تنتهي بهم لقولهم المعاد الممجوج بأنّ هذا القرآن الكريم ثمرة الدّرس والتّحصيل ونتيجة تلقّي الدّرس المنتظم من الأعجميّ الحدّاد في مكّة ! بينما القرآن الكريم إنّما أنزله الله تعالى مفرّقاً ومتتابعاً ليتبيّنه النّاس وليهتدي به الأقوام الّذين يعلمون الحقّ ويهتدون به والّذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه لأنّ الله سبحانه وتعالى نوّر بصائرهم وألقى النّور في صدورهم . وفي معرض الإنكار على كفّار مكّة الزّعم بأنّ الّذي علّم المصطفى صلّى الله عليه وسلّم القرآن الكريم رجلٌ أعجميّ جاء قوله تعالى في سورة النّحل[1] : ﴿ ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلّمه بشر . لسان الّذي يلحدون إليه أعجميّ وهذا لسانٌ عربيّ مبين ﴾ وفي مجال الرّدّ الفوريّ على الزّعم بأنّ القرآن الكريم أساطير الأوّلين وفي مجال التّبيين أنّه كلام ربّ العالمين جاء قوله تعالى في سورة الفرقان[2] : ﴿ وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الّذي يعلم السّرّ في السّماوات والأرض إنّه كان غفوراً رحيما ﴾ .

---

(١) الآية ١٠٣ .

(٢) الآية ٥ ، ٦ .

اتّبِعْ يا محمّدُ ما أُوحِيَ إليكَ

وأعرِضْ عنِ المشركينَ الذينَ صرفَ اللهُ تعالى قلوبَهم عنِ الحقِّ

الآيات: ١٠٦ — ١١٠

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

بعد تصريف السّورة الكريمة مختلف الآيات بقصد أن يتدبّرها البشر ويعودوا إلى بارئهم جلّ وعلا ويتوبوا إلى خالقهم توبةً نصوحاً يتحوّل السياق إلى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الّذي تكاد تذهب نفسه حسرات لإعراض النّاس عن دعوته إلى صراط العزيز الحميد . وتأمر الآية الكريمة الأولى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يتّبع ما أوحى الله تعالى إليه من قرآنٍ كريم فإنّه سلاحه صلّى الله عليه وسلّم الأكبر . وتقرّر الآية الكريمة أنّه لا إله إلاّ الله الّذي أوحى هذا القرآن الكريم فعليه صلّى الله عليه وسلّم أن يمتثل أمر الله تعالى وأن يجاهد بهذا الكتاب العزيز الّذين كفروا جهاداً كبيراً ، وأن يُعْرض عن المشركين وأن يهجرهم هجراً جميلاً وهذا قبل الأمر بقتال المشركين . وفي الآية الكريمة نوعٌ من تسليةٍ له عليه الصّلاة والسّلام . .

والآية الكريمة التّالية تؤكّد التّسلية وتثبيت الفؤاد ، فها هي ذي تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى لو شاء أن يُسْلِم القوم لما أشركوا ولكان النّاس أمّةً واحدةً مؤمنة ، كما تقرّر دور المصطفى صلّى الله عليه وسلّم المقتصر على البلاغ وحده فليس المصطفى صلّى الله عليه وسلّم رقيباً على القوم مسيطراً عليهم وليس وكيلاً عليهم قادراً على إرغامهم على قبول الإيمان .

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ
زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

بعد أن بيّنت الآيتان الكريمتان السّابقتان المنهج الأمثل الّذي يراد من المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يسلكه وجّهت هذه الآية الكريمة التّالية المؤمنين بقيادة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم إلى تمام هذا المنهج وكماله ، وذلك بنهي الّذين آمنوا عن أن يسبّوا الأصنام الّتي يعبدها المشركون من دون الله تعالى ، لأنّ في ذلك إغراءً للمشركين بأن يسبّوا

الله تعالى عدواناً منهم على الذّات العليّة لأنّهم قومٌ لايعلمون وإنّما يندفعون في أقوالهم وأفعالهم بباعث الحبّ الأعمى لتلك الأصنام والحميّة لها .

وتقرّر الآية الكريمة أنّه كما زيّن الله سبحانه وتعالى لأولئك المشركين حبّ الأصنام حبّاً أعمى للدّرجة الّتي عطّلوا معها عقولهم بالكلّيّة زيّن الله سبحانه وتعالى لكلّ أمّة عملهم من الخير ومن الشّرّ . وإنّ الجميع سيرجعون يوم القيامة إلى ربّهم فينبّئهم بما عملوا ويجازيهم عليها ، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ .

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

إنّ المشركين الّذين أعماهم وأصمّهم حبُّ الأصنام قد أقسموا بالله سبحانه وتعالى غاية اجتهادهم في تلك الأيمان لئن جاءتهم آيةٌ ممّا اقترحوا على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ليؤمننّ بتلك الآية وليتّبعنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . وتأمر الآية الكريمة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لأولئك المشركين إنّما الآيات عند الله تعالى وحده لاشريك له فما شاء أن يحقق منها تحقّق وما لم يشأ لم يتحقّق . والمعروف أنّ القرآن الكريم في أكثر من موضع قد بيّن أنّ القوم ليسوا جادّين في طلب الآيات والمعجزات لأنّ بين أيديهم أكبر المعجزات النّافعة لهم إلا وهي معجزة القرآن الكريم البيانيّة . وإنّ هذا المعنى هو الّذي توحي به الجزئيّة الكريمة الأخيرة في الآية الكريمة . إنّ الخطاب يتحوّل إلى المؤمنين الّذين كانوا حريصين على إيمان الآخرين ولكنّهم كانوا يعتقدون أو يرجّحون أنّ في تحقّق المعجزات المقترحة حملاً للمشركين على العناد ، إنّ الخطاب يتحوّل إلى أولئك المؤمنين في هيئة الاستفهام فيقال لهم وما يشعركم أيّها المؤمنون وما يدريكم أيّها المسلمون ما سبق إليه علمي أنّ المعجزات المقترحة إذا جاءت لا يؤمن المشركون .

ويبدو ــ والله تعالى أعلم ــ أنّ لسان حال الآية الكريمة يقول : إنّكم أيّها المسلمون قد خامركم هذا الاعتقاد ولازمكم هذا الشّعور بسبب ما أوحيت إلى عبدي من قرآنٍ كريم بأنّ القوم إذا جاءتهم الآيات المقترحة لايؤمنون ، وإنّ الآية الكريمة التّالية لتجيب صراحةً على هذا السّؤال .

وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

الآية الكريمة هنا تفصح بما ألمح إليه لسان حال الآية الكريمة السَّابقة . إن الآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى يقلّب أفئدة أولئك المشركين عن الحقّ فيعرضون عنه ويبتعدون منه ، ويصرف أبصارهم عن نور الهداية فلا يهتدون سبيلا ، وبالتّالي هم لن يؤمنوا بهذا القرآن الكريم ، تماماً كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة ، لأنّ قلوبهم تنصرف عن الحقّ فيزيدها الله سبحانه وتعالى انصرافاً ولأنّ أبصارهم عليها غشاوةٌ فيزيدهم الله تعالى عمىً إلى عماهم . إنّ النتيجة السّيّئة لكل ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يذرهم في طغيانهم يعمهون ويتركهم في ضلالهم يتردّدون متحيِّرين والعياذ بالله .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة
يوم الثّلاثاء ١٤٠٨/١١/٧ هـ

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د . حسن محمّد باجودة

الموضـــوع	رقم الآيات	رقم الصّفحة
المقدمة		٧
أوّلاً : تمام سورة المائدة		٩
بين يدي التّفسير		١٩
التّفسير		٣١
أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا وأقربهم مودّة لهم وأمرٌ للمؤمنين بالطّريق الوسط ...	٨٢ ــ ٨٩	٣٣
«الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس»	٩٠ ــ ٩٣	٤٧
أُحِلّ صيد البحر لكم وحرّم على المحرم صيد البرّ وكفّارته	٩٤ ــ ٩٦	٥٧
حرمة المكان والزّمان، وأحكامٌ في الحلال والحرام، وعلى المؤمنين أن يحفظوا أنفسهم	٩٧ ــ ١٠٥	٦٥
تعاليم حين الوصيّة	١٠٦ ــ ١٠٨	٧٧
من نعم الله تعالى على عيسى عليه السّلام وأمره قومه أن يعبدوا الله وحده	١٠٩ ــ ١٢٠	٨٥
ثانياً : سورة الأنعام حتّى نهاية الجزء السّابع		٩٧
بين يدي التّفسير		١١٣
التّفسير		١٣٣
آياتٌ لله تعالى بيّنات ، وتكذيبٌ بالرّسول والقرآن ، وعقاب المستهزئين	١ ــ ١١	١٣٥
إرشاداتٌ للنّبيّ ﷺ وشهادةٌ من الله تعالى له ودعوةٌ إلى الإيمان	١٢ ــ ٢١	١٤٧
بعضُ أهوالَ يوم القيامة الّتي يشاهدها المكذّبون	٢٢ ــ ٣٢	١٥٧
تسليةٌ للنّبيّ ﷺ وإنذارٌ للمشركين وتبشيرٌ للمؤمنين	٣٣ ــ ٤٩	١٦٧
مزيد إرشادٍ للنّبيّ ﷺ وإنذارٌ للكافرين وتبشيرٌ للمؤمنين	٥٠ ــ ٥٨	١٨٣
من مظاهر علمه جلّ وعلا وقدرته	٥٩ ــ ٦٧	١٩٣
الأمر بالإعراض عن المستهزئين والإنكار على الدّاعين إلى الكفر والأمر بتقوى الله تعالى..	٦٨ ــ ٧٣	٢٠٥
آتينا إبراهيم حجّتنا على قومه واقتد يا محمّد بالّذين هداهم الله	٧٤ ــ ٩٠	٢١٣
الله تعالى منزل كلّ الكتب السّماويّة وإنذارٌ للمفترين على الله الكذب وللمنكرين للبعث	٩١ ــ ٩٤	٢٢٧
من آيات الله تعالى الدّالّة على قدرته وإنكارٌ على المشركين وتصريف الآيات للمؤمنين .	٩٥ ــ ١٠٥	٢٣٥
اتّبع يا محمّد ما أُوحي إليك وأعرض عن المشركين الّذين صرف الله تعالى قلوبهم عن الحق.	١٠٦ ــ ١١٠	٢٤٩